الدُّرَرُ السَّنِيَّة
فِي الرَّدِّ عَلَى الوَهَّابِيَّة

تأليف
مُفْتِي الشافعيّة بمكة
أحمد بن زيني دحلان
المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ

شركة دار المشاريع

الدُّرَرُ السَّنِيَّة

في الرَّدِّ على الوَهَّابيَّة

تأليف

مُفتي الشافعيَّة بمكة

أحمد بن زيني دحلان

المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

مُلتزم الطبع
شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠ر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي رفع أهل العلم درجات وخفض أهل الجهل والزيغ والضلالات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ختم الله به الرسالات، وعلى ءاله وصحبه الأخيار الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ونصروا هذا الدين بالبراهين والأدلة الواضحات، أما بعد فإن كتاب «**الدرر السنية في الرد على الوهابية**» لمؤلفه مفتي الشافعية بمكة المكرمة الشيخ أحمد بن زيني دحلان من المؤلفات التي أظهرت للملإ أفكار الوهابية وفندتها بالحجج والبراهين، فقد بيَّن فيه مؤلفه جواز التوسل والاستغاثة والسفر لزيارة قبور الأنبياء والأولياء عند المسلمين رادًّا به على نفاة التوسل الوهابية المجسمة الذين يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم وأموالهم.

وقد طبع هذا الكتاب عدة مرَّات من غير تحقيق فأحببنا أن نطبعه طبعة مميزة محققة وذلك لنشر الخير وبيان فساد عقيدة الوهابية الذين يتظاهرون بالتمسك بالكتاب والسنة وهم يعملون على هدمهما بأفكارهم الفاسدة الباطلة التي أخذها شيخهم محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية من ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية تقليدًا لهما من غير اعتبار ما جاء في الشرع ولا ما جاء عن الأئمة من السلف والخلف، هذا مع ادعائهم زورًا وبهتانًا أنهم سلفية أي بزعمهم على مسلك السلف الصالح والحق أن السلف الصالح منهم بريء، نسأل الله تعالى السلامة من الفتن وأهلها وأن يوفقنا لفعل الخير والدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة إنه على كل شيء قدير.

ترجمة موجزة للمؤلف(١)

هو أبو العباس أحمد ابن السيد زيني دحلان المكي الشافعي مفتيهم بمكة العلامة المشارك الصالح أحد من نفع الله به المسلمين في الزمن الأخير في تلك الربوع العربية.

ولد سنة ١٢٣١هـ وقيل ١٢٣٢هـ وتوفي رحمه الله في المحرم سنة ١٣٠٤هـ بمكة ودفن فيها في مقبرة المعلى.

أخذ علومه عن الشيخ محمد سعيد المقدسي وعلي سرور وعبد الله سراج الحنفي وبشرى الجبرتي والشيخ حامد العطار وغيرهم من الواردين، وأخذ الفقه الحنفي عن السيد محمد الكتبي.

يروي عن الوجيه الكزبري والشيخ عثمان الدمياطي وهو عمدته والشمس محمد بن حسين الحبشي الباعلوي المكي ويوسف الصاوي ومفتي المالكية أبي الفوز المرزوقي وغيرهم عامة ما لهم.

كانت طريقته رحمه الله طريقة ءال باعلوي يرويها عن السيد محمد ابن حسين الحبشي المذكور والعارف عمر بن عبد الله الجفري المدني والسيد عبد الرحمٰن السقاف الباعلوي وأحمد بن سالم الجفري والعارف أبي بكر العطاس وقرأ عليه مختصر أسانيد الباعلويين بحضور جمع في مجلس واحد وطلب منه الإجازة في ذلك وأجازه سنة ١٢٧٩هـ.

كان رئيس علماء الحجاز في وقته ومقدمهم في الحقيقة والمجاز على حسب ما نعته الواصفون وكانت الإمارة الحجازية تنظر إليه

---

(١) راجع ترجمته في: الأعلام (١/ ١٢٩ - ١٣٠)، فهرس الفهارس (١/ ٣٩٠ - ٣٩٢)، حلية البشر (١/ ١٨١)، معجم المؤلفين (١/ ٢٢٩)، هدية العارفين (١/ ١٩١)، إيضاح المكنون (٣/ ٨٢، ٢١٤، ٤٣٦)، (٤/ ١٦١، ١٧٢، ٥٨٨، ٥٩٤، ٦٥٠).

بعين الرعاية وقد اعترف له أهل الفضل والإجلال بفضله فطار ذكره في الأقطار واشتهر قدره في النواحي والأمصار.

تولى إفتاء الشافعية بمكة المكرمة فازداد حبه لدى الخاص والعام وعظّمته قلوب الأهالي والحكام وكان لطيف المعاشرة حسن المسايرة.

ترك رحمه الله تآليف كثيرة نذكر منها ما يلي

١ - الأزهار الزينية في شرح متن الألفية طبع بولاق ١٢٩٤هـ.

٢ - تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية، طبع.

٣ - تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الرب والرسول، طبع.

٤ - خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، طبع مرارًا.

٥ - تنبيه الغافلين مختصر منهاج الطالبين، طبع.

٦ - الدرر السنية في الرد على الوهابية، وهو هذا الكتاب، وقد طبع مرارًا عديدة.

٧ - رسالة في جواز التوسل، طبعت بهامش «مصباح الأنام» لعلوي الحداد سنة ١٣٢٥هـ.

٨ - السيرة النبوية والآثار المحمدية في جزأين، طبع مرارًا.

٩ - فتح الجواد المنان على العقيدة المسماة بفيض الرحمٰن، طبع.

١٠ - الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين، طبع في مصر.

١١ - الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، طبع.

١٢ - منهل العطشان على فتح الرحمٰن في تجويد القرءان، طبع.

١٣ - رسالة في ذكر ما ورد في وعد الصلاة ووعيدها، طبع.

١٤ - تاريخ طبقات العلماء رتبهم بترتيب عجيب جمع الشافعية على حدتهم والحنفية على حدتهم وهكذا بقية المذاهب.

١٥ - النصر في أحكام صلاة العصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضَّل سيدنا محمدًا ﷺ على سائر المخلوقات وشرَّف أمته على سائر الأمم وأعلى لهم الدرجات وعلى ءاله وأصحابه المقتفين ءاثاره ومن تبعهم في جميع الحالات

أما بعد فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام[1] المفتقر إلى ربه المنان أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني من لا تسعني مخالفته أن أجمع له ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبيّ ﷺ والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والأحاديث النبوية وما ورد في ذلك عن السلف والعلماء والأئمة المجتهدين ليكون ذلك مبطلًا إنكار المنكرين فجمعت له هذه الرسالة من كتب كثيرة واختصرتها غاية الاختصار اعتمادًا على ما هو مبسوط في كتب العلماء الأخيار فأستعين الله وأقول

اعلم رحمك الله أن زيارة قبر نبينا ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء] دلت الآية على حثّ الأمة على المجيء إليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذا لا ينقطع بموته. ودلت أيضًا

---

(١) يقول هذا من باب اتهام النفس بالتقصير للعمل على تقويم هذا التقصير.

على تعليق وجدانهم الله توابًا رحيمًا بمجيئهم[١] واستغفارهم واستغفار الرسول لهم.

فأما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ١٩﴾ [سورة محمد] وصح في صحيح مسلم[٢] أن بعض الصحابة فهم من الآية ذلك المعنى الذي دلت عليه هذه الآية فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكمّلت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وسيأتي في الأحاديث الآتية ما يدلُّ على أن استغفاره ﷺ لا يتقيد بحال حياته، وقد عُلم من كمال شفقته ﷺ أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفرًا ربه سبحانه وتعالى. والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة تعمّ بعموم العلة كلّ من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفرًا الله تعالى، واستحبوها للزائر ورأوها من ءادابه التي يسن له فعلها، وذكرها المصنفون في المناسك من أهل المذاهب الأربعة.

ودلت الآية أيضًا على أنه لا فرق في الجائي بين أن يكون مجيئه بسفر أو غير سفر لوقوع ﴿جَآءُوكَ ٦٤﴾ في حيز الشرط الدال على العموم وقد قال تعالى ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ١٠٠﴾ [سورة النساء] ولا شكَّ عند من له أدنى مسكة[٣] من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله

---

(١) يعني أن مجيئهم واستغفارهم عنده واستغفار الرسول ﷺ سبب في مغفرة الله تعالى لهم.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل: باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ.
(٣) المُسْكة: العقل الوافر والرأي، يقال فلان ذو مسكة أي رأي وعقل يرجع إليه، وفلان لا مسكة له أي لا عقل له. (تاج العروس ٧/ ١٧٧).

ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجرًا إلى الله ورسوله لما يأتي من الأحاديث الدالة على أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته في حياته وزيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعًا فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية.

وأما السنة فما يأتي من الأحاديث.

وأما القياس فقد جاء أيضًا في السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور فقبر نبينا ﷺ منها أولى وأحرى وأحق وأعلى بل لا نسبة بينه وبين غيره، وأيضًا فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد فقبره الشريف أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم، وليست زيارته ﷺ إلا لتعظيمه والتبرُّك به ولينال الزائر عظيم الرحمة والبركة بصلاته وسلامه عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة[1] الملائكة الحافّين به ﷺ

وأما إجماع المسلمين[2] فقد قال العلامة ابن حجر في «الجوهر

---

(١) أي حال وجود الملائكة الحافين به وقد ورد ذلك في حديث.

(٢) قال الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في كتابه شفاء السقام (ص/٥٢) ما نصه: «الباب الثالث: فيما ورد في السفر إلى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم صريحًا، وبيان أن ذلك لم يزل قديمًا وحديثًا، وممن روى ذلك عنه من الصحابة بلال بن أبي رباح مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله عنه، سافر من الشام إلى المدينة لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم، روينا ذلك بإسناد جيد إليه، وهو نص في الباب» اهـ، ثم قال في الباب الرابع من الكتاب (ص/٦٧) ما نصه: «قال القاضي عياض رحمه الله تعالى (الشفا، ٢/ ٨٣): وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم سنَّة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها» اهـ، ثم أفاض في نقل استحبابها عن أعيان من العلماء من المذاهب الأربعة، فنقل ذلك عن الشافعية: عن القاضي أبي الطيب الطبري، والمحاملي، والحليمي، والماوردي، والروياني، والقاضي حسين، والشيخ أبي إسحٰق الشيرازي، وعن الحنفية: عن أبي منصور الكرماني في مناسكه، وعبد الله بن محمود في شرح المختار، وأبي الليث السمرقندي في فتاواه، والسروجي في الغاية، وعن الحنابلة: عن أبي الخطاب الكواذاني في الهداية، وأبي عبد الله=

المنظم في زيارة قبر النبيّ المكرم ﷺ»[1]: «قد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعوّل الإجماع وإنما الخلاف بينهم في أنها واجبة أو مندوبة فمن خالف في مشروعية الزيارة فقد خرق الإجماع، واحتج القائلون بوجوب[2] الزيارة بقوله ﷺ: **«من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»** رواه ابن عدي[3] بسند يحتج به»، قال[4]: «وجفاؤه ﷺ حرام فعدم زيارته المتضمن لجفائه حرام، وأجاب الجمهور القائلون بندب الزيارة بأن الجفاء من الأمور النسبية فقد يقال في ترك المندوب إنه جفاء إذ هو ترك البر والصلة ويطلق أيضًا على غلظ الطبع والبعد عن الشيء فأكثر العلماء من الخلف والسلف على ندبها دون وجوبها وعلى كل من القولين فالزيارة ومقدمتها من نحو السفر من أهم القربات وأنجح المساعي ويدل لذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته منها قوله ﷺ **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**[5] وفي رواية **«حلت له شفاعتي»**[6] رواه

= السامري في المستوعب، ونجم الدين بن حمدان في الرعاية الكبرى، وعن المالكية: عن أبي عمران الفاسي، والشيخ ابن أبي زيد.

(١) الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المعظم (ص/ ١٥).

(٢) المعتمد أنها سنة وليست واجبة.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٤)، وأورده ابن حبان في الضعفاء (٣/ ٧٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢١٧) ونقل عن الدارقطني أن الطعن في هذا الحديث على محمد بن محمد بن النعمان، وقد أجاب الحافظ السبكي عن ذلك في كتابه «شفاء السقام» (ص/ ٢٨) وحكم على الحديث بالغرابة، وأورده السيوطي في الجامع الكبير (٢١٨٢٠) وقال: «وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يُصب».

(٤) الجوهر المنظم (ص/ ١٦).

(٥) أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الحج: باب المواقيت (٢/ ٢٧٨)، وانظر «شفاء السقام» (ص/ ٢).

(٦) أخرجه البزار في مسنده، انظر «كشف الأستار» (٢/ ٥٧)، وفي سند الحديث عبد الله ابن إبراهيم الغفاري وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم قال الهيثمي في مجمع الزوائد=

الدارقطني وكثير من أئمة الحديث، وقد أطال الإمام السبكي في كتابه المسمى «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» في بيان طرق هذا الحديث وبيان من صححه من الأئمة ثم ذكر روايات في أحاديث الزيارة كلها تؤيد هذا الحديث منها رواية **«من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»**[(١)] وفي رواية **«من جاءني زائرًا لا يهمه حاجة إلا زيارتي كان حقًّا عليَّ أن أكون له شفيعًا يوم القيامة»**[(٢)] وفي رواية **«من جاءني زائرًا كان له**[(٣)] **حق على الله عز وجل أن أكون له شفيعًا يوم القيامة»**[(٤)] وفي رواية لأبي يعلى[(٥)] والدارقطني[(٦)] والطبراني[(٧)] والبيهقي[(٨)] وابن عساكر **«من حج فزار**

= (٤/ ٢): «وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف»، قال الحافظ السبكي في شفاء السقام (ص/ ١٤) بعدما ذكر ما قيل فيهما: «وإذا كان المقصود من هذا الحديث تقوية الأول به وشهادته لم يضر ما قيل في هذين الرجلين إذ ليس راجعًا إلى تهمة كذب ولا فسق، ومثل هذا يحتمل في المتابعات والشواهد».

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٥/ ٢٤٦)، والدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٠٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢): «وفيه حفص بن أبي داود القاري وثقه أحمد وضعّفه جماعة من الأئمة»، وانظر «شفاء السقام» (ص/ ٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢٢٥)، والمعجم الأوسط (٥/ ٧٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢): «وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف»، قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٠٨): «رواه الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن»، وانظر «شفاء السقام» (ص/ ١٦).

(٣) أي وعد مؤكد لأنه لا يجب على الله شيء كما قال أهل السنة وما على الإلٰه شيء يجبُ. وهذا كقوله تعالى ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنعام] أي وعد وعدًا مؤكدًا.

(٤) أخرجه السبكي في «شفاء السقام» (ص/ ١٨)، وقال السبكي بعد أن ذكر طرق هذا الحديث بأن الحافظ سعيد بن السكن صححه في كتابه السنن الصحاح.

(٥) عزاه له البوصيري في إتحاف الخيرة (٣/ ٢٥٩).

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الحج: باب المواقيت (٢/ ٢٧٨).

(٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٣١٠)، والمعجم الاوسط (٣/ ٥٠)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه حفص بن أبي داود القارئ وثقه أحمد وضعفه جماعة من الأئمة» اهـ.

(٨) أخرجه البيهقي في سننه (٥/ ٢٤٦) وقال: «تفرد به حفص وهو ضعيف» اهـ، وتعقبه السبكي بأن لحديثه متابعًا عند الطبراني، انظر «شفاء السقام» (ص/ ٢٠) وما بعدها.

قبري» وفي رواية «**فزارني بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي**»[1] وفي رواية «**من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي**» وفي رواية «**من زارني إلى المدينة كنت له شفيعًا وشهيدًا ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة**» رواه بهذه الزيادة أبو داود الطيالسي[2] ثم ذكر أحاديث كثيرة كلها تدل على مشروعية الزيارة لا حاجة لنا إلى الإطالة بذكرها فتلك الأحاديث كلها مع ما ذكرناه صريحة في ندب بل تأكيد زيارته ﷺ حيًّا وميتًا للذكر والأنثى وكذا زيارة بقية الأنبياء والصالحين والشهداء والزيارة شاملة للسفر لأنها تستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة وإذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر إليها قربة، وقد صح خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد[3] فإذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أولى وأحرى.

والقاعدة المتفق عليها أن وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة أي من حيث إيصالها إليها فلا ينافي أنه قد ينضمّ إليها محرم من جهة أخرى كمشي في طريق مغصوب صريحة في أن السفر للزيارة قربة

---

(١) انظر «شفاء السقام» (ص/ ٢٤) قال السبكي في حفص بن أبي داود: «ولو ثبت ضعفه كما هو المشهور فإنه لم يتفرد بهذا الحديث».

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص/ ١٢ - ١٣)، قال الحافظ البوصيري في إتحاف الخيرة (٣/ ٢٥٩): «وله شاهد من حديث سبيعة رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٩٤) بسند صحيح»، قال السبكي: «فلم يبق في الإسناد من ينظر فيه إلا الرجل الذي من ءال عمر والأمر فيه قريب لا سيما في هذه الطبقة التي هي طبقة التابعين» انظر «شفاء السقام» (ص/ ٢٩) وما بعدها.

(٣) انظر عن زيارة قبور البقيع في صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤). وعن زيارة قبور الشهداء بأحد في دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٠٦).

مثلها، ومن زعم أن الزيارة قربة في حق القريب فقط فقد افترى على الشريعة الغرّاء فلا يعوَّل عليه، وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد وأن ذلك مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل باطل لأن المؤدي إلى الشرك إنما هو اتخاذ القبور مساجد أو العكوف عليها(١) وتصوير الصور(٢) فيها كما ورد في الأحاديث الصحيحة(٣) بخلاف الزيارة والسلام والدعاء، وكل عاقل يعرف الفرق بينهما ويتحقق أن الزيارة إذا فعلت مع المحافظة على ءاداب الشريعة الغراء لا تؤدي إلى محذور ألبتة، وأن القائل بالمنع منها سدًّا للذريعة متقوّل على الله وعلى رسوله ﷺ.

وهنا أمران لا بد منهما أحدهما وجوب تعظيم النبيّ ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق، والثاني إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة البارئ سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالبارئ سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق(٤) وحافظ على جانب الربوبية.

---

(١) بمعنى قصدها لتُعْبَدَ.

(٢) أي صور ما يعبده الكفار بقصد عبادتها.

(٣) كحديث: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وحديث أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتا كنيسة بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة»، رواهما البخاري.

(٤) وذلك بحيث لم يتجاوز به الحد الوارد في الشرع وإلا فالغلو مذموم شرعًا.

والرسالة جميعًا وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

وأما قوله ﷺ **«لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»**(١) فمعناه أن لا تشد الرحال إلى مسجد لأجل تعظيمه والصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة فإنها تُشد الرحال إليها لتعظيمها والصلاة فيها، وهذا التقدير لا بد منه ولو لم يكن التقدير هكذا لاقتضى منع شد الرحال للحج والجهاد والهجرة من دار الكفر ولطلب العلم وتجارة الدنيا وغير ذلك ولا يقول بذلك أحد. قال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»(٢): «ومما يدل أيضًا لهذا التأويل للحديث المذكور التصريح به في حديث سنده حسن وهو قوله ﷺ **«لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى الصلاة فيه غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»**(٣) اهـ، وبالجملة فالمسئلة واضحة جلية قد أُفردت بالتأليف فلا حاجة إلى الإطالة بأكثر من هذا فإن من نوّر الله بصيرته يكتفي بأقل من هذا ومن طمس الله بصيرته فما تغني عنه الآيات والنذر.

وأما التوسل فقد صح صدوره من النبيّ ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها أما صدوره من النبيّ ﷺ فقد صح في أحاديث كثيرة منها أنه ﷺ كان من دعائه **«اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك»** وهذا توسل لا شك فيه، وصح في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب الحج: باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٨٢٧)، وباب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (١٣٩٧).

(٢) الجوهر المنظم (ص/ ٣١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٦٤)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣): «رواه أحمد، وشَهر فيه كلام وحديثه حسن» اهـ، وقال الحافظ في «فتح الباري» (٣/ ٦٥): «وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف» اهـ، وشَهر هو ابن حَوْشب.

أصحابه أن يدعو به منها ما رواه ابن ماجه[1] بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج أشرًا[2] ولا بطرًا[3] ولا رياءً ولا سمعةً خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه[4] واستغفر له سبعون ألف ملك**» وذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في «الجامع الكبير»[5] وذكره أيضًا كثير من الأئمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج إلى الصلاة حتى قال بعضهم ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه إلى الصلاة. فانظر قوله «**بحق السائلين عليك**» فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن[6] وروى الحديث المذكور أيضًا ابن السُّني[7] بإسناد صحيح[8] عن بلال رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ ولفظه «كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال **بسم الله ءامنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المساجد والجماعات: باب المشي إلى الصلاة (٧٧٨)، قال الحافظ العراقي «رواه ابن ماجه بإسناد حسن» اهـ نقله الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٥/ ٨٩).

(٢) الأشر: البَطر (مختار الصحاح ص/ ٧).

(٣) يقال بطر الحق: أن يتكبر عنه فلا يقبله (القاموس المحيط ص/ ٤٤٩).

(٤) أي كان عمله محبوبًا عند الله وليس معناه نسبة الجارحة لله تعالى لاستحالة ذلك عليه.

(٥) الجامع الكبير (٢٠٥٩٩).

(٦) أي كامل.

(٧) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» باب ما يقول إذا خرج إلى الصلاة (ص/ ٧٦ رقم ٨٤).

(٨) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار (١/ ٢٧٢) عقب رواية عطية: «هذا حديث حسن» اهـ.

أسألك[1] **بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرج بطرًا ولا أشرًا**[2] **ولا رياءً ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذني من النار وأن**[3] **تدخلني الجنة**»، ورواه الحافظ أبو نعيم في «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال «**اللهم إني أسألك بحق السائلين**» إلى ءاخر الحديث المتقدِم، ورواه البيهقي في كتاب «الدعوات»[4] من حديث أبي سعيد أيضًا. ومحل الاستدلال قوله «**أسألك بحق السائلين عليك**» فعُلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبي ﷺ وأمر أصحابه أن يقولوه ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به.

ومما جاء عنه ﷺ من التوسل أنه كان يقول في بعض أدعيته «**بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي**» قال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»[5] رواه الطبراني[6] بسند جيد، ومن ذلك قوله ﷺ «**اغفر لأمي فاطمة**[7] **بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك**

---

(١) في رواية ابن السني «اللهم بحق السائلين».

(٢) في رواية ابن السني «أشرًا ولا بطرًا».

(٣) في رواية ابن السني «وتدخلني».

(٤) الدعوات الكبير (١/ ٤٧ - ٤٨)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢١).

(٥) الجوهر المنظم (ص/ ١٥٠).

(٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٥١ - ٣٥٢)، و«الأوسط» (١/ ١١١)، وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٧): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢١) من طريق الطبراني.

(٧) أم علي بن أبي طالب. أسلمت وكانت صالحة وكان رسول الله يزورها ويقيل في بيتها ولما ماتت نزع رسول الله قميصه فألبسها إياه، كما في «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٢٩).

والأنبياء الذين من قبلي» وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»[(١)] وابن حبان[(٢)] والحاكم[(٣)] وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت ربت النبيّ ﷺ دخل عليها رسول الله ﷺ وجلس عند رأسها وقال «**رحمك الله يا أمي بعد أمي**» وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال: فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل ﷺ فاضطجع فيه ثم قال «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين**»، وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك[(٤)]، وكذا روى مثله ابن عبد البر[(٥)] عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو نعيم في «الحلية»[(٦)] عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطي في «الجامع الكبير»[(٧)].

ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه

---

(١) انظر الطبراني في المصدر السابق.

(٢) لم نقف عليه في طبعة ابن حبان.

(٣) الحديث في المستدرك (١٠٨/٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وليس عنده هذه اللفظة.

(٤) و(٥) لم نقف عليه في مصنفه.

(٦) حلية الأولياء (٣/ ١٢١).

(٧) جامع الأحاديث (٤/ ٤٢٠) مقتصرًا في عزوه على الطبراني والحلية من حديث أنس رضي الله عنه.

الترمذي[1] والنسائي[2] والبيهقي[3] والطبراني[4] بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه «أن رجلًا ضريرًا أتى النبيّ ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال «**إن شئت دعوتُ وإن شئت صبرتَ وهو خير**» قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبيّ الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه فيّ**» فعاد وقد أبصر وفي رواية[5] قال ابن حنيف «فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرّ قط» ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضًا.

وخرّج هذا الحديث أيضًا البخاري في تاريخه[6] وابن ماجه[7] والحاكم[8] في «المستدرك» بإسناد صحيح، وذكره الجلال السيوطي في «الجامع الكبير»[9] و«الصغير»[10] وليس لمنكِر التوسل أن يقول إن هذا إنما كان في حياة النبيّ ﷺ لأن قوله ذلك غير مقبول لأن هذا الدعاء استعمله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون أيضًا بعد

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات: باب (١١٩) وهو بعد باب في دعاء الضيف (٣٥٧٨) وليس فيه: «فعاد وقد أبصر».

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٦/١٦٨ - ١٦٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/١٦٦ - ١٦٧) وفيه: «فقام وقد أبصر» وصحح إسناده.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/٣٠ - ٣١)، و«المعجم الصغير» (١/٢٠١ - ٢٠٢) وقال: «والحديث صحيح» اهـ.

(٥) هي عند الطبراني وقد مر تخريجها ءانفًا.

(٦) التاريخ الكبير (٦/٢٠٩ - ٢١٠) وفيه: «ففعل فرد بصره».

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في صلاة الحاجة (١٣٨٥) من دون قوله: «فعاد وقد أبصر».

(٨) المستدرك (١/٣١٣) بدون قوله: «فعاد وقد أبصر» وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٩) الجامع الكبير (٤٠٤٩).

(١٠) الجامع الصغير (١/٢٢٧) وصححه.

وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني[(١)] والبيهقي[(٢)] أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته فشكا ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبيّ الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي لتقضى حاجتي وتذكر حاجتك» فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه وقال له اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرًا ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدتُ رسولَ الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره إلى ءاخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ.

وروى البيهقي[(٣)] وابن أبي شيبة[(٤)] بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه وكان من أصحاب النبيّ ﷺ إلى قبر النبيّ ﷺ وقال «يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا» فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يسقون، وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ فإن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٦٧ - ١٦٨).

(٣) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٧٤) لابن كثير، وقال البيهقي في ءاخره: «وهذا إسناد صحيح» اهـ، ونقله ابن كثير وأقره.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦ - ٣٥٧)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤٩٥).

رؤياه وإن كانت حقًّا لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي لا الشك في الرؤيا وإنما الاستدلال بفعل الصحابي وهو بلال بن الحارث رضي الله عنه فإتيانه لقبر النبيّ ﷺ ونداؤه له وطلبه منه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ وذلك من أعظم القربات.

وقد توسل به ﷺ أبوه ءادم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها وحديث توسل ءادم عليه السلام بالنبيّ ﷺ رواه البيهقي[1] بإسناد صحيح في كتابه المسمى «دلائل النبوة» الذي قال فيه الحافظ الذهبي[2] «عليك به فإنه كله هدى ونور» فرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«لمّا اقترف ءادم[3] الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرتَ لي فقال الله تعالى يا ءادم كيف عرفت محمدًا ولم أخلقه قال يا رب إنك لمّا خلقتني رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إلـه إلا الله محمد رسول الله فعلمتُ أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا ءادم إنه لأحب الخلق إليّ وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»** رواه الحاكم وصححه[4] والطبراني[5] وزاد فيه **«وهو ءاخر الأنبياء من ذريتك»** وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك

(١) دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩).

(٢) الرسالة المستطرقة (ص/ ٧٨).

(٣) اعلم أيها القارئ أن الله عصم الأنبياء من الكفر والكبائر والصغائر التي فيها خسة ودناءة وأما التي لا خسّة فيها ولا دناءة فيجوز أي يمكن أن تحصل منهم ولكن ينبهون فورًا للتوبة قبل أن يقتدي بهم فيها غيرهم والتنبيه قبل النبوة بالإلهام وبعد النبوة بالوحي.

(٤) مستدرك الحاكم (٢/ ٦١٥).

(٥) المعجم الصغير (٢/ ٣٥٥).

رضي الله عنه للخليفة المنصور وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبيّ ﷺ سأل الإمام مالكًا رضي الله عنه وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو فقال له الإمام مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم إلى الله تعالى بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء] ذكره القاضي عياض في «الشفاء»(١) وساقه بإسناد صحيح، وذكره الإمام السبكي في «شفاء السقام»(٢) والسيد السمهودي في «خلاصة الوفاء»(٣) والعلامة القسطلاني في «المواهب اللدنية»(٤) والعلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»(٥) وذكره كثير من أرباب المناسك في ءاداب الزيارة وقال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»(٦): «رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه»، وقال العلامة الزرقاني في «شرح المواهب»(٧) «ورواها ابن فهد بإسناد جيد ورواها القاضي عياض في «الشفاء» بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب»(٨) ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٤٠ - ٤١).

(٢) شفاء السقام (ص/ ٦٩ و١٥٤).

(٣) وفاء الوفا (٤/ ١٣٧٦).

(٤) المواهب اللدنية (٤/ ٥٨٩).

(٥) الجوهر المنظم (ص/ ١١٣).

(٦) الجوهر المنظم (ص/ ١٢٩).

(٧) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١٢/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٨) قال الشيخ محمد علي بن حسين المكي المالكي في تهذيب الفروق والقواعد السنية (٣/ ٥٢) بعد أن ساق كلام القاضي عياض في الشفا وابن حجر والزرقاني ما نصه: «على أنها عُضدت بجريان العمل وبالأحاديث الصحيحة الصريحة في جواز التوسل التي يعضد بعضها بعضًا وبظاهر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما».

ذلك عن الإمام مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة إلى الإمام مالك مردودة وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة البقرة] إن من جملة تلك الكلمات توسل ءادم بالنبي ﷺ حين قال: **يا رب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لي**.

واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبيّ ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في «صحيح البخاري»[(١)] من رواية أنس ابن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل، وفي «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني[(٢)] «أن عمر رضي الله عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى» ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقًا سواء كان التوسل بالأحياء أو بالأموات وقول من منع ذلك بغير النبيّ ﷺ. ونص اللفظ الواقع من عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا» والحديث مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وصدر الحديث عن أنس رضي الله عنه «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال

(١) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء: باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (١٠١٠).

(٢) المواهب اللدنية (٤/ ٢٧٧).

فيسقون» انتهى، وفعل عمر رضي الله عنه حجة[1] لقوله ﷺ «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» رواه الإمام أحمد[2] والترمذي[3] عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الإمام أحمد[4] أيضًا وأبو داود[5] والحاكم في «المستدرك»[6] عن أبي ذرّ رضي الله عنه، ورواه أبو يعلى والحاكم في «المستدرك» أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الطبراني في «الكبير» عن بلال[7] ومعاوية[8] رضي الله عنهما، وروى الطبراني في «الكبير»[9] وابن عدي في «الكامل»[10] عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «**عمر معي وأنا مع عمر والحقّ بعدي مع عمر حيث كان**» وهذا مثل ما صحَّ في حق عليّ رضي الله عنه حيث قال ﷺ في حقه «**وأدر الحقّ معه حيث دار**» وهو حديث صحيح رواه كثير من

---

(١) لا سيما أنه لم يجد معارضًا بين الصحابة.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب: باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحسنه (٣٦٨٢).

(٤) مسند أحمد (٥/ ١٦٥).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج والفيء والإمارة: باب في تدوين العطاء (٢٩٦٢).

(٦) المستدرك للحاكم (٣/ ٨٦ - ٨٧) وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٧) المعجم الكبير (١/ ٣٥٤)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٦): «رواه الطبراني وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط» اهـ.

(٨) بعض العلماء ظنوا معاوية تاب فترضوا عنه، ولكن هو ما ثبت أنه تاب بدليل أنه سعى قبل موته باستخلاف ابنه يزيد وترك أجلاء الصحابة وأكابرهم في ذلك الوقت.

(٩) المعجم الكبير (١٨/ ٢٨٠ - ٢٨١)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى بنحوه، وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة وبقية رجال أبي يعلى ثقات، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم» اهـ.

(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ١٥٠).

أصحاب السنن[١] فكل من عمر وعليّ رضي الله عنهما يكون الحق معهما حيثما كانا.

وهذان الحديثان من جملة الأدلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة لأن عليًّا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره ممن لا يستحق التقدم عليه قاتله.

ومن الأدلة على أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما حجة على جواز التوسل قوله ﷺ «**لو كان بعدي نبي لكان عمر**» رواه الإمام أحمد[٢] والترمذي[٣] والحاكم[٤] في «المستدرك» عن عقبة ابن عامر الجهني رضي الله عنه، ورواه الطبراني[٥] في «الكبير» عن عصمة بن مالك رضي الله عنه، وروى الطبراني[٦] في «الكبير» عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**» وإنما استسقى عمر رضي الله

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: «هذا حديث غريب» اهـ، ولم يعزه الحافظ المِزّي في «تحفة الأشراف» (٧/ ٣٧٧) إلا للترمذي.

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣٦٨٦) وقال: «حديث حسن غريب» اهـ.

(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٨٥) وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٥) المعجم الكبير (١٧/ ١٨٠).

(٦) عزاه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٣) للطبراني ثم قال: «فيه من لم أعرفهم» وله شاهد من حديث حذيفة رواه الترمذي في سننه: كتاب المناقب: باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، وابن ماجه في سننه: المقدمة: باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨٢)، والبيهقي في سننه (٥/ ٢١٢).

عنه بالعباس رضي الله عنه ولم يستسق بالنبي ﷺ ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ وأن ذلك لا حرج فيه، وأما الاستسقاء بالنبي ﷺ فكان معلومًا عندهم فلربما أن بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي ﷺ فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز ولو استسقى بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ﷺ. وليس لقائل أن يقول إنما استسقى بالعباس لأنه حيٌّ والنبي ﷺ قد مات وأن الاستسقاء بغير الحيّ لا يجوز لأنا نقول إن هذا الوهم باطل ومردود بأدلة كثيرة منها توسل الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف في الحاجة التي كانت للرجل عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكما في حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه، وكما في توسل ءادم بالنبي ﷺ قبل وجوده وحديث توسل ءادم رواه عمر رضي الله عنه كما تقدم، فكيف يتوهم أنه لا يعتقد صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع أنه ﷺ حيٌّ في قبره[١].

فتلخص من هذا أنه يصح التوسل به ﷺ قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته، وأنه يصح أيضًا التوسل بغيره من الأخيار كما فعله عمر حين استسقى بالعباس رضي الله عنهما وذلك من أنواع التوسل كما تقدم. وإنما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة رضي الله عنهم لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ ولبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فإن عليًّا

---

(١) روى البيهقي في رسالته حياة الأنبياء بعد وفاتهم (ص/٢٧) حديث «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

رضي الله عنه كان موجودًا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه، قال بعض العارفين: وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبيّ ﷺ نكتة[1] أخرى أيضًا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين فإنه لو استسقى بالنبيّ ﷺ لربما استأخرت الإجابة لأنها معلقة بإرادة الله تعالى ومشيئته فلو تأخرت الإجابة ربما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الإيمان بسبب تأخر الإجابة بخلاف ما إذا كان التوسل بغير النبيّ ﷺ فإنها لو تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا ذلك الاضطراب.

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبيّ ﷺ في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالأولياء والصالحين كما دلت عليه الأحاديث السابقة لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرًا ولا خلقًا ولا إيجادًا ولا إعدامًا ولا نفعًا ولا ضرًّا إلا لله وحده لا شريك له، ولا نعتقد تأثيرًا ولا نفعًا ولا ضرًّا للنبيّ[2] ﷺ ولا لغيره من الأحياء والأموات فلا فرق في التوسل بالنبيّ ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتًا لأنهم لا يخلقون شيئًا وليس لهم تأثير في شيء وإنما يتبرَّك بهم لكونهم أحباء الله تعالى، وأما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضرُّ فإنه لله وحده لا شريك له.

---

(١) أي على الحقيقة لأن النافع والضار على الحقيقة هو الله وحده.

(٢) المعنى أن النبي ﷺ لا يخلق ضرًّا ولا نفعًا إنما الله هو خالق الضر والنفع والتوسل بالنبي سبب لدفع الضر وحصول النفع.

وأما الذين يفرّقون بين الأحياء والأموات فإنهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات، ونحن نقول ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۝١٦﴾ [سورة الرعد] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [سورة الصافات] فهؤلاء المجوّزون التوسل بالأحياء دون الأموات هم المعتقدون تأثير غير الله وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات فكيف يدَّعون أنهم محافظون على التوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراك؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [سورة النور]، فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرُّك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت[(١)] أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، فالمُؤَثِّر والمُوجِد حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الأخيار سبب عادي في ذلك التأثير وذلك مثل الكسب العادي فإنه لا تأثير له.

وحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة منها حديث[(٢)] **«مررت على موسى ليلة أسري بي يصلي في قبره»**، ومثله[(٣)] **«مررت على إبراهيم فأمرني بتبليغ أمتي السلام وأن أخبرهم أن الجنة طيبة التربة وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر»**، ومثل حديث[(٤)]

---

(١) عزاه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٤٧٠) للطبراني من حديث عوف بن مالك ورمز له بالحسن ولفظه: «الأبدال في أهل الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل: باب من فضائل موسى ﷺ (٢٣٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات: باب ٥٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب» (٣٤٦٢)، وبنحوه رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٧٣) والأوسط (٤/ ٤٥١) والصغير (١/ ٢١٤)، وعندهما أي الترمذي والطبراني في معاجمه الثلاثة في سنده عبد الرحمـٰن بن إسحاق، قال فيه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩١) بعد عزوه لهما: «وهو ضعيف».

(٤) مسند أحمد (١/ ٢٥٧).

اجتماعهم لما صلى بهم في بيت المقدس ليلة أسري به ثم تلقوه في السمٰوات، وحديث[1] تردّد النبي ﷺ بين موسى ومقام مكالمته ربه لما فرض عليه خمسين صلاة فأمره موسى بالمراجعة، وحديث[2] «إن الأنبياء يحجون ويلبون» وكل هذه الأحاديث صحيحة لا مطعن فيها لطاعن فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها.

وأيضًا فقد ثبت بنص القرءان حياة الشهداء، والأنبياء أفضل من الشهداء فالحياة لهم ثابتة بالأولى، ثم إن الحياة الثابتة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللشهداء ليست مثل الحياة الدنيوية بل هي حياة تشبه حال الملائكة ولا يعلم صفتها وحقيقتها إلا الله تعالى فيجب علينا الإيمان بثبوتها من غير بحث عن صفتها وكيفيتها، وإذا كان الأمر كذلك فلا ينافي أن كلا منهم قد مات وانتقل من الحياة الدنيوية بمعنى أنه زالت عنه الحياة التي كانت في دار الدنيا وثبتت لهم حياة أخرى فلا إشكال في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر] والكلام على ذلك مبسوط في المطولات فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذكره.

فإن قال قائل إن شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتًا أشياء جرت العادة بأنها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (٣٤٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات وفرض الصلوات (١٦٢).

(٢) لم يثبت بهذا اللفظ، وفي شرح مسلم للنووي (٢/٢٢٨ - ٢٢٩): «قال القاضي عياض: فإن قيل كيف يحجون ويلبون وهم أموات وهم في الدار الآخرة وليست دار عمل، فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة أحدها أنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء عند ربهم فلا يبعد أن يحجّوا ويصلوا».

لا تُطلب إلا من الله تعالى، ويقولون للوليّ افعل لي كذا وكذا، وأنهم ربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعًا للإيهام وسدًّا للذريعة وإن كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيرًا ولا نفعًا ولا ضرًّا لغير الله تعالى ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرُّك ولو أسندوا للأولياء شيئًا لا يعتقدون فيهم تأثيرًا.

فنقول لهم: إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقًا بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين وذلك المجاز مجاز عقلي شائع معروف عند أهل العلم ومستعمل على ألسنة جميع المسلمين ووارد في الكتاب والسنة وعليه يحمل قول القائل «هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء شفاني وهذا الطبيب نفعني» فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي فإن الطعام لا يشبع حقيقةً والمشبع حقيقة هو الله تعالى والطعام سبب عادي فإسناد الشبع له مجاز عقلي والطعام سبب عادي لا تأثير له وهكذا بقية الأمثلة. فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي والإسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز كما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه.

وأما منع التوسل مطلقًا فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة وصدوره من النبيّ ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله محرَّمًا ومنهم من يجعله كفرًا وإشراكًا وكل ذلك باطل لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة ومن تتبع كلام الصحابة وعلماء الأمة سلفها وخلفها يجد التوسل صادرًا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز لقوله ﷺ في الحديث الصحيح «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»(١) قال بعضهم إن هذا حديث متواتر وقال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة ءال عمران] فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس، فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سدَّ الذريعة ومنع الناس من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا ينبغي أن يكون التوسل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام كأن يقول المتوسل اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك ﷺ وبالأنبياء قبله وبعباده الصالحين أن تفعل بي كذا وكذا لا أنهم يمنعون من التوسل ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له.

ومن الشبه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧)، وللحديث طرق كثيرة لا يخلو واحد منها من مقال كما قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٤١)، ثم قال: وقال أبو مسعود: «عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة» إسناده صحيح ومثله لا يقال من قِبل الرأي وله طريق ءاخر» اهـ. وقال في تخريج أحاديث المختصر (١/ ١١٥): «هذا موقوف صحيح».

النور] فإن الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي ﷺ بمثل ما يخاطب بعضهم بعضًا كأن ينادوه باسمه وقياسًا على ذلك يقال لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وإن كان الطلب من الله على أنه الموجد للشيء والمؤثر فيه ومن غيره على أنه سبب عادي لكنه ربما يوهم التأثير فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الإيهام.

والجواب: أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقًا ولا يقتضي منع الطلب من موحِّد فإنه يحمل على المجاز العقلي إذا صدر من موحد فلا وجه لكونه شركًا ولا لكونه محرمًا، فلو قال إن ذلك خلاف الأدب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه أن يكون بالأدب والاحتراز عن الألفاظ الموهمة لكان له وجه، وأما المنع مطلقًا فلا وجه له قال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»[1] «ولا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه» لأن التوجه من الجاه وهو علوُّ المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى منه جاهًا، والاستغاثة معناها طلب الغوث والمستغيث يطلب من المُستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه، فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين إلا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى ومجازًا بالتسبب العادي من غيره ولا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى، فمن لم ينشرح لذلك صدره فليبك على نفسه نسأل

---

(١) الجوهر المنظم (ص/ ١٥٠ - ١٥٢).

الله العافية. فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه بالخلق والإيجاد، والنبيّ ﷺ مستغاث به مجازًا والغوث منه بالكسب والتسبب العادي باعتبار توجهه وتشفعه عند الله لعلو منزلته وقدره فهو على حد قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنفال]، أي وما رميت خلقًا وإيجادًا إذ رميت تسببًا وكسبًا ولكن الله رمى خلقًا وإيجادًا، وكذا قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنفال]، وقوله ﷺ «**ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم**»(١)، وكثيرًا ما تجيء السنة لبيان الحقيقة ويجيء القرءان الكريم بإضافة الفعل لمكتسبه ويسند إليه مجازًا كقوله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النحل] وقوله ﷺ «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**»(٢) فالآية بيان للسبب العادي والحديث لبيان سبب فعل الفاعل الحقيقي وهو فضل الله تعالى، وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شكَّ فيه لغة ولا شرعًا.

فإذا قلت أغثني يا اللَّه تريد الإسناد الحقيقي باعتبار الخلق والإيجاد، وإذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الإسناد المجازي باعتبار التسبب والكسب والتوسط بالشفاعة، ولو تتبعت كلام الأئمة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور: باب قول الله تعالى ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴿٢٢٥﴾﴾ [سورة البقرة] (٦٦٢٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب الأيمان: باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي بالذي هو خير ويكفّر عن يمينه (١٦٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى: باب تمني المريض الموت (٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة: باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (٧٥/٢١٨١٦) و(٢٨١٧).

وسلف الأمة وخلفها لوجدت شيئًا كثيرًا من ذلك بل في الأحاديث الصحيحة كثير من ذلك ومنه ما في «صحيح البخاري»[1] في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة «**بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ**» فتأمل تعبيره ﷺ بقوله «**استغاثوا بآدم**» فإن الاستغاثة به مجازية والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى، وصح عنه ﷺ لمن أراد عونًا أن يقول «**يا عباد الله أعينوني**»[2] وفي رواية[3] «**أغيثوني**».

وجاء في حديث قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه بل صار يقول يا أرض خذيه فعاتب الله موسى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لأغثته[4] فإسناد الإغاثة إلى الله تعالى إسناد حقيقي وإسنادها إلى موسى مجازي.

وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه إذ هو ﷺ حيّ في قبره يعلم سؤال من يسأله وقد تقدَّم حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه المذكور فيه أنه جاء إلى قبره ﷺ وقال «يا رسول الله استسق لأمتك» أي ادع الله لهم فعُلم منه أنه ﷺ يُطلب منه الدعاء

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب من سأل الناس تكثرًا (١٤٧٥).

(٢) أخرجه البزار، انظر «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٤/ ٣٤)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٢): «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وحسّنه الحافظ ابن حجر في أماليه مرفوعًا.

(٣) أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١١٧ - ١١٨)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٢): «رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن يزيد بن علي لم يدرك عتبة» اهـ.

(٤) رواه الطبري بنحوه (٢٠/ ١١٧) وفي سنده **رجل مجهول**، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٣) لعبد بن حميد من قول عكرمة، وللإمام أحمد في الزهد عن عون ابن عبد الله القاري أنه بلغه.. فذكر الحديث بنحوه.

بحصول الحاجات كما كان يُطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته إلى ربه عز وجل وأنه ﷺ يُتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عَرصات القيامة فيشفع إلى ربه، وكل هذا مما تواترت به الأخبار وقام به الإجماع قبل ظهور المانعين منه فهو ﷺ له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعِم عليه بما حباه وأولاه.

وأما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وأن التوسل والزيارة مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة إذا فُعل كل منهما مع المحافظة على ءاداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور ألبتة، والقائل بمنع ذلك سدًّا للذريعة متقوّل على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ. وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺ حكموا على فاعله بالكفر والإشراك وليس الأمر كما يقولون فإن الله تعالى عظم النبيّ ﷺ في القرءان الكريم بأعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشىء من صفات الربوبية ورحم الله البوصيري حيث قال: [البسيط]

دع ما ادَّعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكمِ

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شىء من الكفر والإشراك[1] بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظمهم الله

---

(١) طبعًا مع مجانبة الغلو في ذلك.

تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكالملائكة وكالصديقين والشهداء والصالحين قال تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج] وقال تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحج]، ومن تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد وإطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البر فإن ذلك كله من تعظيمه ﷺ، وقد أفردت مسئلة المولد وما يتعلق بها بالتأليف، واعتنى بذلك كثير من العلماء فألفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالأدلة والبراهين فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذلك.

ومما أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام فإنها أحجار وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار[1] وباب الكعبة والملتزم والميزاب كما جرى على ذلك السلف والخلف وكلهم في ذلك لا يعبدون إلا الله ولا يعتقدون تأثيرًا لغيره ولا نفعًا ولا ضرًّا لأن ذلك لا يكون إلا لله وحده ولا يكون لأحد سواه.

والحاصل كما تقدم أن هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبيّ ﷺ ورفع رتبته عن سائر المخلوقات، والثاني إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه،

---

(١) المستجار وهو المستعاذ وهو ما بين الركنين اليماني والباب المغلق الذي كان فتحه ابن الزبير رضي الله عنهما، وكان ابن الزبير فتح باب في ظهر الكعبة، وموضع المستجار بين الركن وبين هذا الباب المسدود في ظهر الكعبة مقابل للملتزم ومقداره أربعة أذرع، مواهب الجليل (٣/ ٤١٢)، تاريخ مكة للأزرقي (١/ ٢٠٩ - ٢١٠).

فمن اعتقد في مخلوق مشاركة البارئ سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقاتها للعبادة، ومن قصر بالرسول ﷺ في شيء عن مرتبته فقد عصى[1] أو كفر، وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب[2] الحق وحافظ على جانب الربوبية[3] والرسالة جميعًا وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلى تكفير أحد من المؤمنين إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ۝٢﴾ [سورة الأنفال] فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي وهي سبب عادي للزيادة والذي يزيد في الإيمان حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له، وقوله تعالى ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾ [سورة المزمل] فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي لأن اليوم محل لجعلهم شيبًا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وحده، وقوله تعالى ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۝٢٤﴾ [سورة نوح] فإسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الإضلال والهادي والمضلُّ حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك

---

(١) كأن صغر اسمه على وجه المحبة لا على وجه التحقير والاستخفاف فلا يكفر لكنه حرام.

(٢) أي ما لم يغال ويجاوز الحد في وصفه بما لم يرد.

(٣) هذه العبارة «جانب الربوبية» قد منعها العلماء كما ذكر ذلك شهاب الدين الرملي (حاشية أسنى المطالب ٤/٢٤٣) فقال ما نصه: «قال العراقي: سُئلت عمن حلف بالجناب الرفيع وأراد به الله تعالى هل تنعقد يمينه وتلزمه الكفارة إذا حنث فأجبتُ: بأنها لا تنعقد لأن مدلول جناب الإنسان فناء داره ولا يجوز أن يطلق ذلك على الله عز وجل وإطلاقه على الله تعالى إلحاد في أسمائه» اهـ، والجناب والجانب ما حول الإنسان وهذا من صفات الأجسام تعالى الله عز وجل عن ذلك.

له، وقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة غافر] فإسناده البناء إلى هامان مجاز عقلي لأنه سبب ءامر فهو يأمر بذلك ولا يبني بنفسه والذي يبني إنما هم الفعلة.

وأما الأحاديث النبوية ففيها من المجاز العقلي شيء كثير يَعرف ذلك من وقف عليه من ذلك الحديث المتقدم «**بينما هم كذلك استغاثوا بآدم**» فإغاثة ءادم عليه السلام مجازية والمغيث حقيقة هو الله تعالى، وأما كلام العرب ففيه من المجاز العقلي ما لا يحصى كقولهم «أنبت الربيع البقل» فجعلوا الربيع وهو المطر منبِتًا والمنبِت حقيقة هو الله تعالى، فإسناد الإنبات إلى الربيع مجاز عقلي. فإذا قال العامي من المسلمين نفعني النبيّ ﷺ أو أغاثني أو نحو ذلك فإنما يريد الإسناد المجازي والقرينة على ذلك أنه مسلم موحّد لا يعتقد التأثير إلا لله، فجعلهم ذلك وأمثاله من الشرك جهل محض وتلبيس على عوام الموحدين، وقد اتفق العلماء على أنه إذا صدر مثل هذا الإسناد من موحد فإنه يحمل على المجاز، والتوحيد يكفي قرينة لذلك لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أهل السنة والجماعة واعتقادهم أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله تعالى لا تأثير لأحد سواه لا لحيّ ولا لميت، فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك.

وأما الفرق بين الحي والميت كما يُفهم من كلام هؤلاء المانعين للتوسل فإن كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحي يقدر على بعض الأشياء دون الميت فكأنهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه فهو مذهب باطل، والدليل على أن هذا هو اعتقادهم أنهم يقولون «إذا نودي الحي وطلب منه ما يقدر عليه فلا ضرر في ذلك وأما الميت

فإنه لا يقدر على شيء أصلًا»، وأما أهل السنة فإنهم يقولون «الحي لا يقدر على شيء كما أن الميت كذلك لا يقدر والقادر حقيقة هو الله تعالى والعبد ليس له إلا الكسب الظاهري باعتبار الحيّ والكسب الباطني باعتبار التبرك بذكر اسم النبي ﷺ وغيره من الأخيار وتشفعهم في ذلك والخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده لا شريك له».

وقد تقدَّم كثير من الدلائل الدالة على صحة التوسل ولا بأس بإلحاق أدلة تدل على ذلك زيادة على ما تقدم ذكر العلامة السيد السمهودي في «خلاصة الوفاء»[1] أن من الأدلة الدالة على صحة التوسل بالنبيّ ﷺ بعد وفاته ما رواه الدارمي[2] في صحيحه[3] عن أبي الجوزاء قال: «قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوَّة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمُطروا حتى نبت العشب وسَمِنَت الإبل حتى تفتقت[4] من الشحم فسُمي عام الفَتق»، قال العلامة المراغي «وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة في أسفل قبة الحجرة المطهرة وإن كان السقف حائلًا بين القبر الشريف والسماء»، قال السيد السمهودي بعد كلام المراغي: «وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف ويجتمعون هناك وليس القصد إلا التوسل بالنبيّ ﷺ

---

(١) وفاء الوفا (٤/ ١٣٧٤).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٤٣ - ٤٤)، غريب الحديث للحربي (٣/ ٩٤٦).

(٣) الصواب أن يقال: سننه.

(٤) أي انتفخت خواصرها واتسعت من كثرة ما رعت فسمي عام الفتق أي عام الخصب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٩).

والاستشفاع به إلى ربه لرفعة قدره عند الله». وقال أيضًا في «خلاصة الوفاء»[1]: «إن التوسل والتشفع به ﷺ وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين» اهـ.

وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبيّ ﷺ أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل به إلى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به ﷺ قالوا: من أحسن ما يقول ما جاء عن العُتبي وهو مرويٌّ أيضًا عن سفيان بن عيينة وكلٌّ منهما من مشايخ الإمام الشافعي، قال العتبي: كنت جالسًا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول، وفي رواية يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا قال فيه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء] وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، وفي رواية وإني جئتك مستغفرًا ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وأنشأ يقول: [البسيط]

يا خيرَ من دُفنت بالقاعِ أعظُمُهُ فطابَ من طِيبهنَّ القَاعُ والأكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

قال العتبي ثم استغفر الأعرابي وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبيّ ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله غفر له[2]، فخرجت خلفه فلم أجده، وليس محل الاستدلال الرؤيا فإنها لا تثبت بها الأحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي

(١) وفاء الوفا (٤/ ١٣٧١).
(٢) انظر الأذكار للنووي (ص/ ٢١٧ - ٢١٨).

كما تقدم ذلك وإنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الإتيان بما تقدم ذكره وذكروا في مناسكهم استحباب الإتيان به للزائر.

وليس في قولهم وفي رواية كذا وفي رواية كذا منافاة لاحتمال أن الراوي حكى ذلك بالمعنى فمرة عبر بقوله يا خير الرسل ومرة عبر بقوله يا رسول الله وعلى ذلك يُحمل أمثال هذا، وقال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»[(١)]: «وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أنهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام حثى ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلتَ فسمعنا قولك ووعيتَ عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء] وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرًا إلى ربي، فنودي من القبر الشريف إنه قد غُفر لك، وجاء مثل ذلك عن عليّ رضي الله عنه من طريق أخرى» فهي تؤيد رواية السمعاني.

ويؤيد ذلك أيضًا ما صح عنه ﷺ من قوله[(٢)]: **«حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله تعالى وما رأيت من شرّ استغفرت لكم»**.

ويؤيد ذلك أيضًا ما ذكره العلماء في ءاداب الزيارة من أنه يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله تعالى أن

---

(١) الجوهر المنظم (ص/ ١٢٥ - ١٢٦).

(٢) أخرجه البزار، انظر «كشف الأستار» (١/ ٣٩٧) للحافظ الهيثمي، وقال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٣/ ٢٩٧): «رواه البزار في مسنده بإسناد جيد».

يجعلها توبة نصوحًا ويستشفع به ﷺ إلى ربه عز وجل في قبولها ويُكثر الاستغفار والتضرُّع بعد تلاوة قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء] ويقول نحن وفدُك يا رسول الله وزوّارك جئناك لقضاء حقك والتبرُّك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيعٌ غيرك نؤمِلُه ولا رجاءٌ غير بابك نصلُه فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله أن يمنَّ علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين، وذكر علماء المناسك أيضًا أن استقبال قبره الشريف ﷺ وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة.

قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام(١) إن استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة، وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن استقبال القبلة أفضل فهذا النقل غير صحيح(٢) فقد روى الإمام أبو حنيفة نفسه في مسنده(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «من السنة استقبال القبر المكرَّم وجعل الظهر للقبلة»، وسبق ابن الهمام في النص على ذلك العلامة ابن جماعة(٤) فإنه نقل استحباب استقبال القبر عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وردَّ على الكرماني في أنه تُستقبل القبلة فقال «إنه ليس بشيء».

ثم قال في «الجوهر المنظم»(٥): «ويستدل لاستقبال القبر أيضًا بأنا متفقون على أنه ﷺ حيٌّ في قبره يعلم بزائره وهو ﷺ لما كان

---

(١) و(٢) و(٣) انظر الجوهر المنظم (ص/١١٢).
(٤) مناسك ابن جماعة (ص/١٠٣ - ١٠٤).
(٥) الجوهر المنظم (ص/١١٣).

في الدنيا لم يسع زائره إلا استقباله واستدبار القبلة» فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ﷺ «وإذا اتفقنا في المدرّس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة أن الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به ﷺ فهذا أولى بذلك قطعًا» وقد تقدم قول الإمام مالك للخليفة المنصور «ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم إلى الله بل استقبله واستشفع به».

قال العلامة الزرقاني في «شرح المواهب»(١): «كتب المالكية(٢) طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلًا له مستدبرًا للقبلة» ثم نقل عن مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي والجمهور مثل ذلك، وأما مذهب الإمام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم استحباب استقبال القبر الشريف كبقية المذاهب(٣) وكذا القول في التوسل فإن المرجح عند المحققين منهم استحبابه لصحة الأحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقًا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة، وقد أطال الإمام السبكي في «شفاء السقام» في نقل نصوص أهل المذاهب الأربعة في ذلك، وذكر الشيخ طاهر سنبل في رسالة له في ذلك أن ممن ذكر ذلك من علماء الحنابلة الإمام أبا عبد الله السامري في المستوعب، ورفعت فتوى لمفتي الحنابلة بمكة الشيخ محمد عبد الله بن حميد في هذه المسئلة فأجاب بأن الراجح عند الحنابلة

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١٢/ ١٩٤).

(٢) ونص العبارة في شرح المواهب: «وقول ابن تيمية ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك خطأ قبيح فإن كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلًا له مستدبرًا قبلة وممن نص على ذلك أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمٰن والعلامة خليل في منسكة ونقله في الشفا عن ابن وهب عن مالك...».

(٣) انظر المغني لابن قدامة (٣/ ٥٩٠)، الإنصاف للمرداوي (٤/ ٥٣).

استقبال القبر الشريف عند الدعاء واستحباب التوسل قال: «وذلك مذكور في كثير من كتب المذهب المعتمدة منها شرح مناسك المقنع للإمام شمس الدين ابن مفلح صاحب الفروع، ومنها شرح الإقناع[1] لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتي، ومنها شرح غاية المنتهى[2]، ومنها منسك الشيخ سليمان بن علي جد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة[3] وكثير من المؤلفين في المذهب ذكروا ذلك قال وبعض هؤلاء ذكروا أيضًا قصة العتبي المشهورة وإنشاد الأعرابي:

«يا خير من دفنت بالقاع أعظمه» إلى ءاخرها.

وأما الحديث الذي فيه «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك**» إلى ءاخره فهو حديث أخرجه الترمذي وصححه[4] وأخرجه النسائي والبيهقي أيضًا وصححه[5].

ثم قال المفتي المذكور: «إذا تحقق ذلك علمنا أن المعتمد عند الحنابلة هو ما ذكره السائل أعني استحباب استقبال القبر عند الدعاء واستحباب التوسل والمنكر لذلك جاهل بمذهب الإمام أحمد» اهـ.

وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره[6] من أن بعضهم نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح إذ لم ينقله عن الإمام أحد من أهل مذهبه وهم أدرى به بل كتبهم طافحة باستحباب

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/٣١٨).

(٢) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٤٤٠).

(٣) يريد صاحب الدعوة الوهابية التي انتشر شررها في الآفاق.

(٤) و(٥) تقدم تخريجه.

(٦) روح المعاني: تفسير سورة المائدة: الآية (٣٥).

التوسل ونقل المخالف غير معتبر فإياك أن تغترَّ به. [البسيط]

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما قد شبت في الرق فأعتقني من النار

وقال ابن أبي فديك[1]: «سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول: بلغنا أن من وقف عند قبر النبيّ ﷺ فتلا هذه الآيـــة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب] وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة».

قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره: الأولى أن يقول صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله «يا محمد».

وابن أبي فديك من أتباع التابعين وكان من الأئمة الثقات المشهورين وهو من المروي عنه في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن، قال الزرقاني في شرح «المواهب»[2]: «اسمه محمد بن إسماعيل بن مسلم الديلمي مات سنة مائتين»، وهذا الذي نقله من المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه أيضًا البيهقي.

وفي شرح المواهب للزرقاني[3] أن الداعي إذا قال «اللهم إني أستشفع إليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك» استجيب له.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩٢).
(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١٢/ ٢٠٠).
(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٢/ ٢٠١).

فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبيّ ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها أن التوسل به ﷺ وزيارته وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعًا بلا شك ولا مرية وأنها من أعظم القربات، وأن التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته وسيكون التوسل به أيضًا بعد البعث في عرصات القيامة قال في «المواهب»[1] «ورحم الله ابن جابر حيث قال: [الطويل]

به قد أجاب الله ءادم إذ دعا   ونُجِّي في بطن السفينة نوح
وما ضرّت النار الخليل لنوره   ومن أجله نال الفداء ذبيح»

ثم قال[2] وفي كتاب «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» للشيخ أبي عبد الله بن النعمان ما يشفي الغليل من ذلك، ثم ذكر في المواهب كثيرًا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبيّ ﷺ، وروى البيهقي[3] عن أنس رضي الله عنه «أن أعرابيًّا جاء إلى النبيّ ﷺ يستسقي به وأنشد أبياتًا أوَّلها: [الطويل]

أتيناك والعذراء يدمى لبانها   وقد شغلت أم الصبيّ عن الطفل

إلى أن قال: [الطويل]

وليس لنا إلا إليك فرارنا   وأنى فرار الخلق[4] إلا إلى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت بل قال أنس «لما أنشد الأعرابي الأبيات قام ﷺ يجرُّ رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء».

---

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٩٣ - ٥٩٤).
(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٩٥).
(٣) دلائل النبوة (٦/ ١٤١).
(٤) في الدلائل و«فتح الباري» (٢/ ٤٩٥) «الناس».

وفي «صحيح البخاري»[1] «أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال ﷺ: **لو كان أبو طالب حيًا لقرّت عيناه ومن ينشدنا قوله** فقال عليّ رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله: [الطويل]

وأبيضَ يُسْتسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالُ اليَتَامى عِصْمَةٌ للأرامل

فتهلل وجه النبيّ ﷺ» ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه، ولو كان ذلك حرامًا أو شركًا لأنكره ولم يطلب إنشاده. وكان سبب إنشاء أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبيّ ﷺ أن قريشًا في الجاهلية أصابهم قحط فاستسقى لهم أبو طالب وتوسل بالنبيّ ﷺ وكان صغيرًا فاغدودق عليهم السحاب بالمطر فأنشأ أبو طالب تلك القصيدة.

وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى ءامن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله فسكن»[2].

---

(١) هذه رواية البيهقي لا البخاري، وإنما الذي في «صحيح البخاري» عن سالم عن أبيه: «ربما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبيّ ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل» (١٠٠٩).

وهذه الرواية والتي قبلها ساقها البيهقي في رواية واحدة فاقتضى التنبيه.

(٢) مستدرك الحاكم (٢/ ٦١٤ - ٦١٥) وصححه، وقال ملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة» (ص/ ٢٨٨): «قال الصاغاني إنه موضوع كذا في «الخلاصة» لكن معناه صحيح».

قال في «الجوهر المنظم»[1] فإذا كان له ﷺ هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به.

وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري[2] عن كعب الأحبار أن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم، فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الأمم السابقة.

وقال السيد السمهودي في «خلاصة الوفا»[3] إن العادة جرت أن من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لأجله ويقضي حاجته وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في «صحيح البخاري»[4] في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار فأطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل منهم إلى الله تعالى بأرجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم، فالتوسل به ﷺ أحق وأولى لما فيه من النبوّة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته، فالمؤمن إذا توسل به إنما يريد بنبوَّته التي جمعت الكمالات، وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون يجوز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونها أعراضًا فالذوات الفاضلة أولى فإن عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه[5]، وأيضًا لو سلمنا ذلك نقول لهم إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبيّ ﷺ باعتبار ما قام به من

---

(١) الجوهر المنظم (ص/ ١٥٤) بمعناه.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٢٨).

(٣) وفا الوفا (٤/ ١٣٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإجارة: باب من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجرته فعمل فيه المستأجر فزاد (٢٢٧٢).

(٥) تقدم تخريجه.

النبوّة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الأحاديث الدالة على ذلك ومثله سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الأولياء وعباد الله الصالحين لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة ربّ البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين من رب العالمين وذلك سببه كونهم من عباد الله المقربين فيقضي الله سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين، وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الأدب الكامل واجتناب الألفاظ التي توهم التأثير لغير الله تعالى.

ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في «الكبير»[1] وفيها «أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه» ومنها قوله: [الطويل]

فأشهد أن الله لا ربَّ غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل[2] ... وإن كان فيما فيه[3] شيب الذوائب
وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا[4] عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله «أدنى المرسلين وسيلة» ولا قوله «وكن لي شفيعًا».

---

(١) المعجم الكبير (٧/ ٩٤ - ٩٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٠): «رواه الطبراني وإسناده ضعيف»، وأخرجه البيهقي من طريق ءاخر في الدلائل (٢/ ٢٤٨).

(٢) في الطبراني: «يا خير من مشى».

(٣) في الطبراني: «فيما جاء».

(٤) في الطبراني: «سواك بمغن».

وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية[1] رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها قولها: [الطويل]

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها «وأنت رجاؤنا» وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها «يا رسول الله أنت رجاؤنا».

قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى «الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان»[2] في الفصل الخامس والثلاثين إن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته.

وقد ثبت أيضًا أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله ابن الإمام أحمد فقال له الإمام أحمد إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الإمام الشافعي أن أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى بالإمام مالك لم ينكر عليهم، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من كانت له إلى الله حاجة وأراد قضاءها فليتوسل إلى الله بالإمام الغزالي.

وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـ «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة»[3] أن الإمام الشافعي رضي الله عنه

---

(١) المعجم الكبير (٢٤/ ٣٢٠) للطبراني، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٩) «رواه الطبراني وإسناده حسن».

(٢) الخيرات الحسان (ص/ ٩٤).

(٣) الصواعق المحرقة (ص/ ١٨٠).

توسل بأهل البيت النبوي حيث قال: [مجزوء الكامل]

ءال النبيّ ذريعتي   وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعطى غدا   بيدي اليمين صحيفتي

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى «مجمع الأحباب في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن» أنه رأى في المنام ربَّ العزة فسأله عما يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه قال فقال لي «قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح إلٰهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه، يا حيُّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين» فكان الإمام الترمذي يقول ذلك دائمًا بعد صلاة سنة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه، وهو إمام حجة يقتدى به بل هذا الأمر أعني التوسل لم ينكره أحد قط من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون.

وفي «الأذكار»[(١)] للإمام النووي «أن النبيَّ ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر (ثلاثًا) اللهم ربّ جبريل[(٢)] وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار»، قال العلامة ابن علان في شرح الأذكار[(٣)] خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء وإلا

---

(١) الأذكار: باب ما يقول بعد ركعتي الفجر (ص/٤٩) لكن عنده: «أعوذ بك من النار» بدل: «أجرني من النار».

(٢) في طبعة دار الكتاب العربي: وإسرافيل وميكائيل... وفي الرواية أن أحد الصحابة صلى ركعتي الفجر وأن رسول الله صلى قريبًا منه ركعتين خفيفتين ثم سمع الصحابي النبي يقول وهو جالس هذا الدعاء...

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (٢/ ١٤١).

فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات، فأفهم ذلك أنه من التوسل المشروع.

وفي شرح حزب البحر للإمام زروق[1] قال بعد ذكر كثير من الأخيار «اللهم إنا نتوسل إليك بهم فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك فتمّم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين» ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله «اللهم ربّ الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نوّر بصري وبصيرتي وسري وسريرتي»، قال بعض العارفين وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وأن من ذكره عند الاكتحال نوَّر الله بصره وذلك من الأسباب العادية وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله تعالى وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والرّي لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وحده، وجعل الطاعة سببًا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضًا التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله تعالى وأمر بتعظيمهم سببًا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا إشراك، ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئًا كثيرًا في التوسل ولم ينكر عليهم أحد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون، ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الأمة في التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية ومقنع لمن كان بمرأى من التوفيق ومسمع، وإنما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الأمر لمن كان متشككًا فيه غاية الإيضاح لأن كثيرًا من المنكرين للتوسل يلقون إلى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها

(١) عزاه له صاحب كتاب تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية (٣/ ٥٣).

إلى معتقدهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت إليها ويقيم عليهم الحجة في إبطالها، فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم وإلا كنت مشاققًا لله ورسوله ومتبعًا غير سبيل المؤمنين وقد قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء] وقال رسول الله ﷺ **«عليكم بالسواد الأعظم فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»**(١) وقال ﷺ **«من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَة(٢) الإسلام من عنقه»**(٣)، وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى «تلبيس إبليس»(٤) أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الأعظم منها حديث(٥) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه خطب في الجابية فقال **«من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»**، وحديث عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«يد(٦) الله على الجماعة والشيطان**

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، والذي وجدناه: «عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار» رواه ابن أبي عاصم في كتابه «السنة» (١/ ٣٩)، ورواه الحاكم بلفظ «اتبعوا السواد الأعظم» (١/ ١١٥ - ١١٦)، وعند أبي داود وغيره: «عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» سنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب في التشديد في ترك الجماعة (٥٤٧). النسائي: كتاب الإمامة: باب التشديد في ترك الجماعة (٨٤٦).

(٢) قال ابن الأثير: «الربقة في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٢٨٦٣) وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤) انظر تلبيس إبليس (ص/١٣ - ١٥).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٥) وقال «حسن صحيح» وأحمد (١/ ١٨) بهذا اللفظ.

(٦) معناه: البركة مع الجماعة.

مع من **يخالف الجماعة**»، وحديث[1] أسامة بن شريك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاذة من الغنم**»، وحديث[2] معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد**»، وحديث[3] أبي ذرّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «**اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله تعالى لن يجمع أمتي إلا على هدى**» فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم وعمدوا إلى ءايات كثيرة من ءايات القرءان التي نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوامّ الخلق وقالوا إنهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة الزمر]، وقد علمتَ أن المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/١٨٦) وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢١٨) «رواه الطبراني وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو ضعيف».

(٢) مسند أحمد (٥/٢٣٢ - ٢٣٣) وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢١٩) «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات إلا أن العلاء بن زياد قيل إنه لم يسمع من معاذ».

(٣) مسند أحمد (٥/١٤٥) وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢١٨) «رواه أحمد وفيه البحتري بن عبيد وهو ضعيف».

ومما يعتقده المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة من النبيّ ﷺ ويقولون إن الله تعالى قد قال في كتابه العزيز ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۝٢٥٥﴾ [سورة البقرة] وقال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ۝٢٨﴾ [سورة الأنبياء] فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الإذن للنبيّ ﷺ في أنه يشفع له فكيف يطلب منه الشفاعة ولا يعلم أنه ممن ارتضى فكيف يطلب الشفاعة، واحتجاجهم هذا مردود باطل بالأحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الإذن للنبيّ ﷺ بالشفاعة للمؤمنين وقد صحت الأحاديث بأنه ﷺ يشفع لمن قال بعد الأذان «**اللهم رب هذه الدعوة التامة**»(١) إلى ءاخر الدعاء المشهور، ولمن صلى على النبيّ ﷺ يوم الجمعة(٢)، ولمن زار قبره ﷺ، وجاءت أحاديث كثيرة في أعمال من عملها حلت له الشفاعة ولو ذكرناها لطال الكلام، وجاءت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمته كقوله ﷺ «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٣).

وذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ۝٢٨﴾ [سورة الأنبياء] أن كل من مات مؤمنًا كان ممن ارتضى فيدخل في شفاعته ﷺ، فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ومأذون للنبيّ ﷺ فيها لكل من مات مؤمنًا، فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل إلى الله تعالى بالنبيّ ﷺ أن يحفظ عليه الإيمان إلى أن يتوفاه الله فيدخل في شفاعة النبيّ ﷺ ويكون من أهلها، وهذا كله ظاهر لا يخفى إلا على من انطمست بصيرته والعياذ بالله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان: باب الدعاء عند النداء (٦١٤).

(٢) انظر القول البديع للسخاوي (ص/١٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة: باب (١١)، (٢٤٣٥) وقال: «حديث حسن صحيح».

ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النداء للميت والجماد ويقولون إن ذلك كفر وإشراك وعبادة لغير الله تعالى، وهذا أيضًا باطل ومردود ولا مستند لهم فيه وشبهتهم التي يتمسكون بها أنهم يزعمون أن النداء دعاء وكل دعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة، وحملوا كثيرًا من الآيات القرءانية التي نزلت في المشركين على الموحدين الذين يصدر منهم النداء المذكور وهذا تلبيس في الدين توصلوا به إلى تضليل كثير من الموحدين.

وحاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور] لكنه لا يسمى عبادة فليس كل دعاء عبادة ولو كان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات فيكون كل نداء ممنوعًا مطلقًا سواء كان للأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات، وليس الأمر كذلك وإنما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه، فالذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى، وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته وتأثيره أو استحقاقه للعبادة فإنه ليس عبادة ولو كان ميتًا أو غائبًا أو جمادًا، وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات، فقولهم كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على إطلاقه وعمومه، ولو كان الأمر كذلك لامتنع نداء الحي والميت فإنهما مستويان في أن كلا منهما لا تأثير له في شىء، ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سوى الله تعالى.

فإن قالوا إن نداء الحي والطلب منه لشىء من الأشياء إنما هو لكونه قادرًا على فعل ذلك الشىء الذي طلب منه وأما الميت

والجماد فإنه عاجز ولا قدرة له على فعل شيء من الأشياء، فنقول لهم: اعتقادكم أن الحي قادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقادكم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهو اعتقاد فاسد ومذهب باطل، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده لا شريك له والعبد ليس له إلا الكسب الظاهري قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الصافات] وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الزمر] فيستوي الحي والميت والجماد في أن كلا منهم لا خلق له ولا تأثير والمؤثر هو الله تعالى وحده، فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله، وأما مجرد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه، والأحاديث التي ورد فيها النداء للأموات والجمادات من غير اعتقاد الألوهية والتأثير كثيرة منها حديث الأعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه فإنه فيه «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي»، وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته ﷺ، وحديث بلال بن الحارث المتقدم أيضًا فإن فيه أنه جاء إلى قبر النبيّ ﷺ وقال «يا رسول الله استسق لأمتك» ففيه النداء بعد وفاته ﷺ والخطاب بالطلب منه أن يستسقي لأمته، ومن ذلك الأحاديث الواردة في زيارة القبور فإن في كثير منها النداء والخطاب كقوله «**السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»(١) ففيها نداء وخطاب وهي أحاديث كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها.

(١) لم نجده بهذا اللفظ، أخرج طرفه (السلام عليكم يا أهل القبور) الترمذي في سننه: كتاب الجنائز: باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر (١٠٥٣)، وأخرج باقيه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز: باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٥).

وتقدم أن السلف والخلف من أهل المذاهب الأربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف «يا رسول الله إني جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي»، وقد جاءت صورة النداء أيضًا في التشهد الذي يقرؤه الإنسان في كل صلاة حيث يقول «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، وصح عن بلال بن الحارث رضي الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه[١]، وصح أيضًا أن أصحاب النبيّ ﷺ لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه[٢]، وفي «الشفاء»[٣] للقاضي عياض أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خَدِرَت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس إليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله.

وجاء في الخطاب والنداء للجمادات أحاديث كثيرة منها أنه ﷺ كان إذا نزل أرضًا قال «**يا أرض ربي وربك الله**»[٤] فهذا نداء وخطاب لجماد ولا كفر ولا إشراك فيه إذ ليس فيه اعتقاد ألوهية واستحقاق عبادة ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى، وقد ذكر الفقهاء في ءاداب السفر أن المسافر إذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا وإذا أضل شيئًا أو أراد عونًا فليقل يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فإن لله عبادًا لا تراهم؛ واستدل الفقهاء

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٧٤) لابن كثير.

(٢) انظر البداية والنهاية (٦/ ٢٤٣)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٨١).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٣)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: باب ما يقول الرجل إذا خدرت رِجله (ص/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد: باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل (٢٦٠٣).

على ذلك بما رواه ابن السني[١] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فإن لله عبادًا يجيبونه**»[٢] ففيه نداء وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم، وفي حديث ءاخر رواه الطبراني أنه ﷺ قال «**إذا أضل أحدكم شيئًا أو أراد عونًا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني**»، وفي رواية[٣] «**أغيثوني فإن لله عبادًا لا ترونهم**». قال العلامة ابن حجر في حاشيته على «إيضاح المناسك»[٤]: «وهو مجرب كما قاله الراوي» للحديث المذكور[٥].

وروى أبو داود[٦] وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «**يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرّك ومن شرّ ما فيك ومن شرّ ما خلق فيك وشرّ ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شرّ ساكن البلد ووالد وما ولد**»، وذكر الفقهاء أنه يسن للمسافر الإتيان بهذا الدعاء عند إقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد.

---

(١) عمل اليوم والليلة (ص/ ٤٥٥ - ٤٥٦)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٢): «رواه أبو يعلى والطبراني وزاد «سيحبسه عليكم» وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف».

(٢) عند ابن السني: «فإن لله عزّ وجلّ في الأرض حاضرًا سيحبسه».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١١٧ - ١١٨)، وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٢): «رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة»، قال المناوي في فيض القدير (١/ ٣٠٧): «أخرجه الطبراني بسند منقطع».

(٤) حاشية ابن حجر على شرح الإيضاح في مناسك (ص/ ٦١).

(٥) انظر رواية الطبراني المخرجة ءانفًا.

(٦) تقدم تخريجه قريبًا.

وروى الترمذي[1] عن [طلحة بن عبيد الله][2] رضي الله عنهما والدارمي[3] عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال «**ربي وربك الله**» ففيه خطاب للجماد، وصح «أنه لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي وأمي طبت حيًّا وميتًا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك»[4]، وفي رواية للإمام أحمد[5] «فقبل جبهته ثم قال: وانبياه ثم قبلها ثانيًا وقال: واصفياه ثم قبلها ثالثًا وقال: وا خليلاه» ففي ذلك نداء وخطاب له ﷺ بعد وفاته ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته ﷺ بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا واتخذت منبرًا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة النساء]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك ءاخر الأنبياء وذكرك في أوّلهم فقال ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ﴿٧﴾﴾

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات: باب ما يقول عند رؤية الهلال (٢٤٥١) وقال الترمذي: «حسن غريب».

(٢) في الأصل المطبوع: «ابن عمر» والتصويب من الترمذي، و«تحفة الأشراف» (٤/ ٢٢٠).

(٣) سنن الدارمي (٢/ ٤).

(٤) ذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية» (٤/ ٥٤٨).

(٥) مسند أحمد (٦/ ٣١ و٢٢٠).

[سورة الأحزاب]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأحزاب]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحًا في كبر سنه وطول عمره، فانظر إلى هذه الألفاظ التي نطق بها عمر رضي الله عنه فقد تعدد فيها النداء له ﷺ بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في «الشفاء»[(١)] والقسطلاني في «المواهب»[(٢)] والغزالي في «الإحياء»[(٣)] وابن الحاج في «المدخل»[(٤)] فيبطل بها وبغيرها من الأدلة قول المانعين للنداء مطلقًا القائلين إن كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة.

وروى البخاري[(٥)] عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ قالت: لما توفي رسول الله ﷺ «يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل نعاه» وفي رواية[(٦)] «إلى جبريل نعاه» والنعي هو الإخبار بالموت، ففي هذا الحديث أيضًا نداؤه ﷺ بعد وفاته، ورثته عمته صفية

---

(١) ذكر بعضه القاضي عياض في الشفا (١/ ٤٥).

(٢) هذا الخبر ذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية» (٤/ ٥٥٤ - ٥٥٥) وقال: «الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة البوصيري ونقله عنه الرشاطي في كتابه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار»، وذكره ابن الحاج في «المدخل» وساقه بتمامه، والقاضي عياض في «الشفاء» لكنه ذكر بعضه».

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨).

(٤) المدخل (٣/ ٢٢١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٦٢).

(٦) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٤٩): «قيل الصواب إلى جبريل نعاه، جزم بذلك سبط ابن الجوزي في «المرءاة» والأول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن».

بمراثي كثيرة[1] قالت في مطلع قصيدة منها: [الطويل]

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برًّا ولم تك جافيا

ففي هذا البيت أيضًا نداؤه ﷺ بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة مع حضورهم وسماعهم له.

ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد الدفن وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا في ذلك إلى حديث الطبراني[2] عن أبي أمامة رضي الله عنه واعتضد بشواهد كثيرة وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه «يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة ءاتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قل رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين إخوانا، ربي الله لا إلٰه إلا هو ربّ العرش العظيم» ففي التلقين الخطاب والنداء للميت فكيف يمنعون النداء مطلقًا.

ومن النداء للميت ما جاء في الحديث المشهور حيث نادى النبيّ ﷺ كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد إلقائهم في القليب رواه البخاري[3] وأصحاب السنن[4] وذكروا أن النبيَّ ﷺ جعل يناديهم

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٤٨).

(٢) انظر المعجم الكبير (٨/ ٢٤٩ - ٢٥٠)، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ١٣٥ - ١٣٦): «وإسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه»، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٥): «وفي إسناده جماعة لم أعرفهم». انظر «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٣٦٨) للحافظ الزبيدي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب قتل أبي جهل (٣٩٧٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٣).

(٤) لم يخرجه من أصحاب السنن إلا النسائي، أخرجه في سننه: كتاب الجنائز: باب=

بأسمائهم وأسماء ءابائهم ويقول «**أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا**».

وأما ما جاء من الآثار عن الأئمة الأحبار والعلماء الأخيار والأولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الأعمار ومضى على ذلك القرون والأعصار ولا وقع منهم إنكار فكيف يجوز الإقدام على تكفير المسلمين بشيء قام ثبوته بالبراهين وفي الحديث الصحيح[1] «**من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»، قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من إراقة دم امرئ مسلم، فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بأمر واضح قاطع للإسلام.

ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي على مختصر بافضل في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة وكان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور وقرأ عليه بالمدينة المنورة قال في تلك الرسالة: يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فإني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرّفه الصواب واذكر له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى فإن أبى

= أرواح المؤمنين وغيرهم (٢٠٧٣ و٢٠٧٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٦٠).

فكفره[1] حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء] و«إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ.

والحاصل أن هؤلاء المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحد فكفروا أكثر الأمة واستحلوا دماءهم وأموالهم[2] وجعلوهم مثل

---

(١) وكأن مراده: بيّن له فساد هذا المعتقد ابتداءً وذلك بالنصح له مع تبيان الأدلة فإن قبل فذاك الأمر وإلا فحذر منه ومن كفره والله أعلم.

(٢) قال الفقيه الشيخ ابن عابدين الحنفي في حاشيته «رد المحتار» ما نصه[أ]: «مطلب في أتباع ابن عبد الوهاب **الخوارج** في زماننا: وقع في زماننا في **أتباع محمد بن عبد الوهاب** الذين خرجوا من نجد وتغلّبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم **اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم** حتى كسر الله شوكتهم وخرّب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف» اهـ. وابن عابدين هو أحد فقهاء الحنفية المشهورين الذي توفي سنة ١٢٥٢هـ.

وقال الشيخ أحمد الصاوي في تعليقه على تفسير الجلالين ما نصه[ب]: «وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة **ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن في نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون** استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذِكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم» اهـ.

وقال مفتي الحنابلة بمكة الشيخ محمد بن عبد الله النجدي الحنبلي (ت ١٢٩٥هـ) في كتابه «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة في ترجمة والد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ما نصه[ت]: «**وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق**...=

(أ) رد المحتار على الدر المختار (٤/ ٢٦٢).

(ب) حاشية الصاوي (٣/ ٣٠٧ - ٣٠٨).

(ت) السحب الوابلة (ص/ ٢٧٥ و٢٧٦).

= **فإنه كان إذا باينه أحد ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلًا لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله»** اهـ.

وقال مفتي الحنابلة أيضًا عند ترجمة إبراهيم بن ناصر بن جديد ما نصه(أ): «ومما شاع من حلمه أن **بعض أهل نجد هجاه وكفره وأطلق لسانه بالقول الشنيع فيه لكونه أنكر على ابن عبد الوهاب»** اهـ.

وهذه هي عادتهم فيمن يخالفهم، يطلقون ألسنتهم بالسب والشتائم ويفترون عليهم نصرة لأهوائهم وتحقيقًا لمآربهم الخبيثة.

وذكر في ترجمة حُميدان بن تُركي بأنه لم يسلم من الوهابية فقال ما نصه(ب): «**فآذوه وكفروه وبغوا له الغوائل فهاجر بأهله وعياله إلى المدينة المنورة** فأحبه أهلها خاصهم وعامهم واعتقدوه وعظموه» اهـ.

وفي ترجمة عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب تكلم عن عبد العزيز بن حمد فقال(ت): «باقعة الزمان ولسان ذلك الأوان عجبا في الحفظ والاستحضار داهية في محاولات الملوك والأمراء، ولد في العينية أو الدرعية قبل سنة ١١٩٠ وقرأ خفاق **ولم تدخل في قلبه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أنه جده لأمه** وزاده نفورًا عنهم أن والدته تزوجت بعد وفاة أبيه الشيخ الفاضل عبد الله بن غريب وكان مصانعًا لهم في الظاهر مخالفًا لهم في الباطن ورد على مخالفيهم **وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها**(ث) وكان عندهم مقبولا معظمًا، ثم إنَّ=

(أ) السحب الوابلة (ص/ ٣٩).

(ب) السحب الوابلة (ص/ ١٥٩).

(ت) السحب الوابلة (ص/ ٢٨٠ - ٢٨١).

(ث) هذا يدل على قلة بضاعتهم في العلم وأن دعوة الوهابية ليست قائمة على العلم بل الجهل متفشي ليس في صغيرهم فقط بل في سائر مشايخهم حتى في زعيم الحركة الوهابية المعاصرة ابن باز (ت ١٤٢٠هـ) من الجاهلين بشرع الله تعالى، فقد قال في مجلة «المجلة» ما نصه: «أحكم الكتاب والسنة وأبني فتاواي على ما قاله الله ورسوله **لا على تقليد الحنابلة ولا غيرهم**... فلا علم ولا فتوى إلا عن طريق القرءان والحديث، هذا هو العلم أما التقليد فليس بعلم» وسأله الذي يحاوره: تحفظون عن ظهر قلب عددًا من أمهات الكتب؟ فأجاب: لا، لا أحفظها، قرأنا الكثير ولكن لا أحفظ منها الشيء الكثير، قرأنا البخاري ومسلم مرات، قرأنا سنن النسائي وسنن أبي داود **وما أكملناهما**، قرأنا سنن الترمذي **وما أكملناه** قرأنا سنن ابن ماجه **لكن ما أكملناه**، قرأنا **جملة كبيرة** من المسند والدارمي وصحيح ابن خزيمة... عندنا اللجنة الدائمة وأنا رئيسها منذ عام ١٣٩٥هـ» اهـ (انظر: «مجلة المجلة: العدد ٨٠٦، ٢٣ - ١٩٩٥/٧/٢٩، ص/ ٢٣ - ٢٤). =

= شخصًا من الأعاجم مقيمًا في الدرعية استحسانًا لدعوتهم تملّق للشيخ عبد الله المذكور واستجلبه وسأله عن حقيقة حالهم وأجابه بالاستحسان وأنها الحق فقال: أنا في ذمتك ترشدني ويسألك الله عن ذلك إن كتمت عني الحق، **فظنَّه** صادقًا وباح له بما كان يكتم في نفسه **من تخطئتهم ومجاوزتهم الحد في التكفير والقتل والنهب**، فوشى به إليهم فمسكوه وعرفوا أنه إذا كان ينقض عليهم أكثر من غيره لحذقه وفهمه وقوة تصرفه(أ) في الرد مع اطلاعه على خباياهم **فقتلوه**، فنفر ربيبه المذكور عنهم نفرة=

= انظر أيها القارئ إلى كلام هذا الرجل الذي لو عُرض على علماء أهل السنة لشددوا النكير عليه ومنعوه من الإفتاء، قولوا لي بالله عليكم كيف يجتمع الاجتهاد مع الجهل بحديث رسول الله ﷺ وانظروا إلى تباهيه وتفاخره بأنه لا يقلد أحدًا من أئمة الاجتهاد كالإمام أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم، وهل القراءة في الكتب هي التي تجعل الشخص عالمًا مجتهدًا متبحرًا في العلوم الشرعية، فإذا كان الأمر كذلك عندهم وهذا هو الظاهر من كلامه فما أكثر علماء هذا العصر فيصير في هذا العصر علماء أكثر من عهد الصحابة والسلف وأعلم منهم فإن الكتب لم تكن متوفرة في زمانهم كما في زماننا! ليراجعوا كتب أهل السنة في أصول الفقه باب شروط المجتهد يجدوا أن بينهم وبين مرتبة الاجتهاد مفاوز تنقطع فيها أعناق الرحال، إذ من شروط المجتهد أن يكون حافظًا لأحاديث الأحكام التي ذُكر فيها الأحكام الشرعية، إذا كان ابن باز زعيم التنظيم الوهابي جاهل بأحاديث الرسول لم يكمل حتى قراءة أشهر كتب الحديث عند أهل السنة ألا وهي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه فضلًا عن غيرها من كتب الحديث فكيف يفتي؟!، لذلك تراه هو وجماعته يحللون الحرام ويحرمون الحلال ويفتون بغير علم ويبدعون من خالفهم ويضللونهم لأنهم هم على الحق وغيرهم على الباطل على زعمهم.

تنبيه: لا تغتر بمن يحمل من الوهابية ورقة مختومة بدرجة الدكتوراه من جامعاتهم لأن الوهابية هم الذين أنشأوا هذه الجامعات وهم يمنحون هذه الورقة لأنفسهم ولمن يريدون، فجامعات الوهابية يقال عنها مدرسة الوهابية ولا يقال جامعات أهل السنة فإن جامعات أهل السنة في أنحاء الأرض معروفة تدرس علم أهل الحق وليس علم محمد ابن عبد الوهاب أو ابن تيمية المجسم، فتنبّه.

تنبيه ءاخر: قول ابن باز بأنه لا يقلد أحدًا هو من تعاليمه لأتباعه الوهابية وهو مشهور عنهم كما ذكر ذلك مفتي مكة وهو صاحب كتاب «السحب الوابلة» حين قال فيه ما نصه (السحب الوابلة (ص/٥٩)): «هم ينتسبون إليه - أي إلى الإمام أحمد - في ظاهر دعواهم - أي الوهابية - تسترًا وإلا فهم يدعون الاجتهاد ولا يقلدون إمامًا» اهـ، لذلك يقولون: نحن رجال وهم رجال أي على زعمهم هم مجتهدون كما أن الأئمة كالشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة مجتهدون!!.

(أ) هذا اعتراف منهم بأنهم لا يستطيعون رد حججه لأنه أفهم منهم مما يدل على أنهم=

= عظيمة ولكن لم يمكنه إلا المصانعة خوفًا من القتل» اهـ.
ومما يدل على أن الوهابية قتلوه لأنه خالفهم في العقيدة ما ذكره الوهابي عبد الله البسام في كتابه «علماء نجد» بأن بعض الغرباء وشى به ونص عبارته(أ): «وذلك بأن معتقد المتَرْجَم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها وكانت الدعوة في أول انتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق وتؤيده **فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩هـ**» اهـ.
وقال مفتي مكة أيضًا في ترجمة محمد بن عبد الله بن فيروز التميمي ما نصه(ب): «**وكان الشيخ معهم** - أي الوهابية - **في هم وأذى ونصبوا له الحبائل حتى بذلوا على قتله خمسمائة أحمر ذهبًا فتسور عليه جماعة من الأشقياء ليلًا وطلعوا إلى داره في سلم فانكسر بهم وتعطل بعضهم فحمله الباقون وهربوا، فعُدت هذه من الكرامات التي لا تنكر وكان الشيخ يرد عليهم ويبين خطأهم وينصح الناس عنهم فلهذا اتخذوه أكبر الأعداء وكفروه وصار عندهم يضرب به المثل في عظم الشرك وأنه ممن أضله الله على علم**» اهـ.
والمترجَم له أي ابن فيروز يعترف الوهابية بأنه من العلماء مما يدل على أن دعوة محمد بن عبد الوهاب لم تلق قبولا عند العلماء وإنما استحسنها الجهلة من الناس والمخدوعون بهم ومن طمس الله على قلبه، قال الوهابي عبد الله البسام في كتابه المسمى «علماء نجد» ما نصه(ت): «**إننا لا ننكر ما بلغه الشيخ محمد بن فيروز من سعة العلم وقوة الحفظ وكثرة الاطلاع**، ولا ننكر أنه بلغ من الشهرة والزعامة مبلغًا بعيدًا وصل به إلى مكاتبة السلطان خان وأن السلطان كان يقدره ويعتقد فيه، وأنه قام بالتعليم والتدريس بجد ونشاط وهمة حتى تخرجت عليه الأفواج العديدة من العلماء الكبار، كل هذا صحيح وأكثر منه أيضًا، وإنما الذي ننكره ونأخذه عليه هو معاداته الشديدة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحاربته لدعوته برسائله وقصائده وأجوبته حتى صار لهذه الدعوة من ألد الخصوم» اهـ.
لماذا هذا العداء الشديد من الوهابية تجاه ابن فيروز الذي وصل إلى حد تكفيره وإباحة دمه؟ اقرأ معي سبب ذلك ما يقوله الوهابي عبد الله البسام في كتابه «علماء نجد»(ث): «**فأخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب على ابن فيروز وأتباعه إباحة التوسل بالذوات وشد**=

= على الباطل فعمدوا إلى قتله كما ذكر مفتي الحنابلة، وهذا يدل أيضًا على أنهم معاندون يعرفون الحق ولا يتبعونه بل يتعصبون لدعوتهم الوهابية بدل أن يتمسكوا بالكتاب والسنة وإن زعموا أنهم متمسكون بهما، إن هذا إلا تمويه على الناس، فاحذر أيها القارئ من الوقوع في مصائدهم والانجرار وراءهم فإنهم دعاة إلى الفتنة.
(أ) انظر الكتاب (٣/ ٩١٧).
(ب) السحب الوابلة (ص/ ٤٠٢).
(ت) انظر الكتاب (٣/ ٨٨٥).
(ث) انظر الكتاب (٣/ ٨٨٢).

وحملوا الآيات القرءانية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم كقوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة

= **الرحال إلى القبور ونحوهما من وسائل الشرك**، والذي نقوله لله تعالى ثم للعقيدة والتاريخ أن الحق والصحيح هو ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب» اهـ، أي مؤسس الدين الوهابي محمد بن عبد الوهاب وأتباعه يرمون بالشرك من يتوسل بذوات الأنبياء والصالحين كقول أهل السنة: اللهم بجاه نبيّك أو عبدك الصالح اشف مريضي أو يسّر أمري أو اقض حاجتي ونحو ذلك، ويرمون بالشرك أيضًا لمن يسافر إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبور الأولياء والصالحين رجاء أن يخلق الله لهم البركة في زيارتهم هذه. وهذا أمر مشروع أي التوسل بذات النبي والأولياء والصالحين والسفر لزيارة قبورهم، هذا شيء جائز عند علماء المسلمين ولا يزال المسلمون يزورون قبر رسول الله ﷺ وقبور الصحابة في موسم الحج ويتوسلون بذواتهم تبركًا بهم، فالوهابية على هذا المعتَقَد يكفرون ملة الإسلام ويتهمونهم بالشرك، نسأل الله السلامة والثبات على الحق.

قال المؤرخ عبد الرحمٰن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار» ما نصه[أ]: «**فأخذ البلدة** - أي الطائف - الوهابيون واستولوا عليها عنوة **وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، وهذا دأبهم مع من يحاربهم**» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[ب]: «**وأخبروا بمحاصرة الوهابيين لمكة والمدينة وجدة وأن أكثر أهل المدينة ماتوا جوعًا لعزة الأقوات**» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[ت]: «وذكروا أنَّ الوهابي نادى بعد انقضاء الحج أن لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن، وتلا في المناداة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة التوبة]» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[ث]: «و- عثمان - المضايفي هذا زوج أخت الشريف - غالب - وخرج عنه وانضم إلى الوهابيين فكان أعظم أعوانهم، وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعو لهم عدة سنين ويوجه السرايا على المخالفين، ونما أمره واشتهر لذلك ذكره في الأقطار، وهو الذي كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها **وقتل الرجال وسبى النساء**» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[ج]: «ووقع بينهم القتال **والوهابية يقولون هاه يا مشركون**، وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية» اهـ.

(أ) عجائب الآثار (٦/ ٣٣)، حوادث شهر ذي الحجة ١٢١٧هـ.

(ب) المصدر السابق (٦/ ١٦٠)، حوادث شهر ربيع الأول ١٢١٩هـ.

(ت) المصدر السابق (٦/ ٣٦٩)، حوادث شهر صفر ١٢٢٢هـ.

(ث) المصدر السابق (٧/ ٢٢٦)، حوادث شهر شوال ١٢٢٨هـ.

(ج) المصدر السابق (٧/ ١٤٦)، حوادث شهر ذي الحجة ١٢٢٦هـ.

الجن] وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف] وقوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ [سورة الشعراء] وقوله تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [سورة الرعد] وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [سورة فاطر] وقوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [سورة الإسراء] وأمثال هذه الآيات في القرءان كثير كلها حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين وقالوا إن من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلًا في عموم هذه الآيات وإنهم مثل المشركين الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة الزمر] فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام التأثير وأنها تخلق شيئًا بل كانوا يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۝٨٧﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [سورة الزخرف] فما حكم الله عليه بالكفر والإشراك إلا لقولهم ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة الزمر] فهؤلاء مثلهم.

وقالوا إن التوحيد نوعان توحيد الربوبية وهو الذي أقرَّ به المشركون، وتوحيد الألوهية وهو الذي أقرَّ به الموحدون وهو الذي يدخلك في دين الإسلام، وأما توحيد الربوبية، فلا يكفي وكلامهم كله باطل لأن الدعاء الذي في الآيات بمعنى العبادة وهم لبسوا على الخلق وجعلوه بمعنى النداء وقد علمت بطلانه من النصوص السابقة.

وأما جعلهم التوحيد نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل أيضًا فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف] ولم يقل ألست بإلٰهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ومن المعلوم أن من أقرَّ لله بالربوبية فقد أقرَّ له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإلٰه بل هو الإلٰه وفي الحديث[1] «**إن الملكين يسألان العبد في قبره فيقولان له من ربك**» ولم يقولا له من إلٰهك؟ فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

ومن العجب أن هؤلاء القوم يأتيهم المسلم فيقول أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فيقولون له أنت لم تعرف التوحيد وتوحيدك هذا توحيد الربوبية وما عرفت توحيد الألوهية فيستحلون دمه وماله بالتلبيسات الباطلة وهل للكافر توحيد صحيح فإنه لو كان للكافر توحيد صحيح لأخرجه من النار إذ لا يبقى فيها موحد.

فهل سمع المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية والألوهية ويخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧١).

دين الإسلام أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم بإسلامهم فما هذا الافتراء والزور على الله ورسوله فإن من وحَّد الرب فقد وحَّد الإلٰه ومن أشرك بالربّ أشرك بالإلٰه فليس للمسلمين إلٰه غير الرب، فإذا قالوا لا إلٰه إلا الله إنما يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الألوهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضًا ويثبتون له الوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله، والذي أوقع المشركين في الشرك والكفر ليس مجرد قولهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر] كما زعم هذا القائل بل اعتقادهم أن غير الله قد يكون إلٰهًا يستحق العبادة وإن كانوا يعتقدون أن الخالق والمؤثر هو الله تعالى، فلما اعتقدوا ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة وأقيمت عليهم الحجة بأنهم لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعًا ولا يَخلقون وهم يُخلَقُونَ قالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر] فاعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغيره هو الذي أوقعهم في الشرك ولم ينفعهم اعتقادهم أن الخالق والمؤثر هو الله مع وجود اعتقادهم ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة، وأما المسلمون فإنهم لله الحمد بريئون من ذلك إذ لا يعتقدون شيئًا يستحق الألوهية والعبادة غير الله، فهذا هو الفرق بين الحالين. وأما هؤلاء الجاهلون المكفرون للمسلمين فإنهم لما لم يعرفوا الفرق بين الحالتين تخبطوا وقالوا إن التوحيد نوعان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين، فتأمل فيما تقدم من النصوص يتضح لك الحال إن شاء الله تعالى وتعلم أن ما عليه السواد الأعظم هو الحق الذي لا محيص عنه.

ومما يعتقده هؤلاء الملاحدة المكفرون للمسلمين أن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرُّك بهم شرك أكبر وهذا أيضًا باطل فإن رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يقصدا أويسًا القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم(١).

وأما التبرك بآثار الصالحين فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يزدحمون على ماء وضوئه يتبركون به(٢) وإذا تنخم أو بصق يأخذون ذلك ويتمسحون به(٣)، وازدحموا على الحلاق عند حلق رأسه ﷺ واقتسموا شعره يتبركون به(٤)، وشرب عبد الله بن الزبير دمه ﷺ لما احتجم(٥)، وشربت أم أيمن بوله فقال لها **«صحة يا أم أيمن»**(٦) وكل ذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند بل ثبت(٧) أنه ﷺ جاء سقاية العباس رضي الله عنه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه (٢٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة: باب الصلاة في الثوب الأحمر (٣٧٦).

(٣) انظر صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب البزاق والمخاط ونحوه في الثوب.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج: باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق (١٣٠٥).

(٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٥٤)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٧٠): «رواه الطبراني والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة، وانظر «التلخيص الحبير» (١/ ٣٠) للحافظ ابن حجر.

(٦) مستدرك الحاكم (٤/ ٦٣ - ٦٤) بنحوه، وسكت عليه الحاكم والذهبي.

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج: باب سقاية الحاج، والبيهقي في سننه (٥/ ١٤٧)، والحاكم في المستدرك ولفظ البخاري: أن رسول الله جاء إلى السقاية فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها فقال: اسقني قال: يا رسول الله: إنهم يجعلون أيديهم فيه قال: اسقني فشرب منه» الحديث.
وفي لفظ عند ابن راهويه قال: «بل اسقوني من هذا الذي قد شرب الناس منه» قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٣/ ٢٤٨) بعد عزوه لإسحاق بن راهويه: «بسند فيه انقطاع»، قلنا: ولم نقف على لفظ المصنف في أي من كتب الحديث وغيرهما فلينتبه.

ليشرب من ماء السقاية فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتي للنبي ﷺ بماء ءاخر من الدار غير ما يشرب منه المسلمون لأنه استقذره وقال: يا رسول الله هذا تمسه الأيدي نأتيك بماء غيره فقال: «**لا إنما أريد بركة المسلمين وما مسته أيديهم**» فإذا كان رسول الله ﷺ يقول ذلك فما بالك بغيره فكل مسلم[١] - أي مسلم كامل تقي - له نور وبركة ولا نعتقد التأثير لغير الله تعالى فطلب بركة الصالحين بالتماس ءاثارهم ليس فيه شىء من الإشراك ولا الحرمة، وإنما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلًا إلى أغراضهم فلا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلا يعتقدون موحدًا إلا من تبعهم فيما يقولون، فصار الموحدون على زعمهم أقل من كل قليل، كان محمد بن عبد الوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبه ومن توسل بالنبي فقد كفر، وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم فكان ينكر عليه إنكارًا شديدًا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شىء مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يومًا: كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟ فقال خمسة فقال: أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للإسلام، وقال رجل ءاخر يومًا لمحمد بن عبد الوهاب: كم يعتق الله كل ليلة في رمضان فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي ءاخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله فقال له: لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرتَ فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك فبهت الذي كفر.

---

(١) أي لإسلامه لا بمعنى أنه يتبرّك به إذ التبرك يكون بالصالح من المسلمين والله يقول: وقليل من عبادي الشكور، أي الأولياء قلة في البشر.

ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلى المدينة المنورة وألف رسالة في الرد عليه[1] وأرسلها له فلم ينته، وألف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرد عليه وأرسلوها له فلم ينته. وقال له رجل ءاخر مرة وكان رئيسًا على قبيلة بحيث إنه لا يقدر أن يسطو عليه: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قومًا كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثرًا ولا أحدًا منهم بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك؟ فقال: أصدق الألف، فقال له: إن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذّبون ما أتيتَ به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابًا لذلك.

وقال له رجل ءاخر مرة: هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل؟ فقال له: حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون[2] فقال له الرجل: إذن دينك منفصل لا متصل فعمن

(١) سمَّاها الصواعق الإلٰهية في الرد على الوهابية وهي مطبوعة.

(٢) ومما يؤكد ذلك أن زعيم الوهابية ومؤسس الدين الوهابي محمد بن عبد الوهاب كفَّر كل مشايخه الذين ليسوا على مشربه فقال ما نصه[أ]: «وأنا أخبركم عن نفسي: والله الذي لا إلٰه إلا هو لقد طلبت العلم وأعتقد من عرفني أن لي معرفة **وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إلٰه إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ به، وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك**» انتهى بحروفه.

فهذا مؤسس الوهابية اعترف أنه كان ضالا ولكن الشيطان زين له سوء عمله فرءاه حسنًا وهو في الحقيقة مستمر على ضلاله وفساده فضلَّلَ مشايخه ولم يستثن منهم أحدًا، فمن أين أخذ العلم إذًا إذا كان مشايخ عصره كفارًا لم يعرفوا دين الإسلام إلا إذا كانت من وساوس الشيطان وضلالات ابن تيمية التي أخذها من كتبه وزاد عليها ضلالات أخرى من عنده، ومن لم يجد شيخًا يهديه ويرشده فمن أين يعرف الحق من الباطل ويميّز الغثّ من السمين؟!.

(أ) انظر الرسالة العاشرة التي أرسلها إلى أهل الرياض، ذكرها حسين بن غنام الوهابي في تاريخه «تاريخ نجد» (ص/٣٠٩ - ٣١٠).

أخذته؟ فقال: وحي إلهام كالخضر فقال له: إذن ليس ذلك محصورًا فيك كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الإلهام الذي تدعيه. ثم قال له: إن التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فإنه ذكر فيه وجهين ولم يذكر أن فاعله يكفر به حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة وكافة المبتدعة يقولون بصحة التوسل به ﷺ فلا وجه لك في التكفير أصلًا فقال له محمد بن عبد الوهاب: إن عمر استسقى بالعباس فلم لم يستسق بالنبيّ ﷺ ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك أن العباس كان حيًّا وأن النبيَّ ﷺ ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل: هذا حجة عليك فإن استسقاء عمر بالعباس إنما كان لإعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبي ﷺ وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل ءادم بالنبي ﷺ قبل أن يُخلق، فالتوسل بالنبي ﷺ كان معلومًا عند عمر وغيره إنما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبي ﷺ فبهت وتحير وبقي على عماوته ومقابحه الشنيعة.

ومن مقابحه أنه لما منع الناس من زيارة النبي ﷺ خرج ناس من الأحساء وزاروا النبي ﷺ وبلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه بالدَّرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الأحساء، وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن اتبعه خلوا المشركين يسيرون في طريق المدينة والمسلمين يعني أتباعه يخلفون معنا، وكان ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة

وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى إنه قتل رجلًا أعمى كان مؤذنًا صالحًا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي ﷺ في المنارة بعد الأذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي ﷺ فأمر بقتله فقتل.

ثم قال إن الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل إثمًا ممن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ في المنائر، ويلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد، فما أفظع قوله وما أشنع فعله.

وأحرق «دلائل الخيرات» وغيرها من كتب الصلاة على النبي ﷺ ويتستر بقوله إن ذلك بدعة وإنه يريد المحافظة على التوحيد، وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرًا منها، وأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرءان بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ القرءان ولا شيئًا منه فيقول الذي لا يقرأ منهم لآخر يقرأ اقرأ عليَّ حتى أفسر لك فإذا قرأ عليه يفسره له برأيه، وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه وجعل ذلك مقدمًا على كتب العلم ونصوص العلماء، وكان يقول في كثير من أقوال الأئمة الأربعة ليست بشيء وتارة يتستر ويقول إن الأئمة على حق ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الأربعة وحرروها ويقول إنهم ضلوا وأضلوا، وتارة يقول إن الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا نعمل إلا بهما ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تآليف في الرد عليه فكان ضابط الحق عنده ما

وافق هواه وإن خالف النصوص الشرعية وإجماع الأمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وإن كان عليه نص جلي أجمعت عليه الأمة.

وكان ينتقص النبي ﷺ كثيرًا بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد، فمنها أن يقول إنه طارش وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى ءاخرين فمراده أنه ﷺ حامل كتب أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف، ومنها أنه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا وكذا إلى غير ذلك مما يشبه هذا، حتى أن أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضًا ويقولون مثل قوله بل أقبح مما يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما أنهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به، حتى إن بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلًا وإنما هو طارش وقد مضى، قال بعض من ألف في الرد عليه إن ذلك كفر في المذاهب الأربعة وهو كفر عند جميع أهل الإسلام.

وكان محمد بن عبد الوهاب في مبتدإ أمره يطلب العلم بالمدينة وأصله من بني تميم وكان من طلبة العلم بالمدينة يتردَّد بينها وبين مكة فأخذ عن كثير من علماء المدينة منهم الشيخ محمد بن سليمان الكردي الشافعي والشيخ محمد حياة السند الحنفي وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه يتفرسون فيه الإلحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الأمر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه، وكان والده عبد الوهاب من

العلماء الصالحين فكان أيضًا يتفرس في ولده المذكور الإلحاد ويذمه كثيرًا ويحذر الناس منه[1]، وكذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب فكان ينكر ما أحدثه من البدع والضلالات والعقائد الزائغة وتقدم أنه ألف كتابًا في الرد عليه.

وكانت ولادة محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وإحدى عشرة[2] وعاش عمرًا طويلًا حتى بلغ عمره اثنتين وتسعين سنة فإنه توفي سنة ألف ومائتين وستة ولما أراد إظهار ما زينه له الشيطان من البدعة والضلالة انتقل من المدينة ورحل إلى المشرق وصار يدعو الناس إلى التوحيد[3] - أي على حسب زعمه - وترك الشرك ويزخرف لهم القول ويفهمهم أن ما عليه الناس كله شرك وضلال، ويظهر لهم عقيدته شيئًا فشيئًا، فتبعه كثير من غوغاء الناس وعوام البوادي، وكان ابتداء ظهور أمره في الشرق سنة ألف ومائة وثلاثة وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين وألف ومائة بنجد وقراها فتبعه وقام بنصرته أمير الدرعية محمد بن سعود وجعل ذلك وسيلة إلى اتساع ملكه ونفاذ أمره فحمل أهل الدرعية على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتبعه أهل الدرعية وما حولها، وما زال يطيعه على ذلك كثير من أحياء العرب حيّ بعد حي وقبيلة بعد قبيلة حتى قوي أمره فخافته البادية، فكان يقول لهم إنما أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله ويزين لهم القول وهم بوادي في غاية الجهل لا يعرفون شيئًا من أمور الدين فاستحسنوا ما جاءهم به،

---

(١) انظر السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لمفتي الحنابلة بمكة محمد بن عبد الله بن حميد النجدي (ص/ ٢٧٥).

(٢) المشهور أنه ولد سنة ١١١٥هـ.

(٣) أي إلى ما يعتبره توحيدًا وإلى ترك ما يعتبره شركًا.

وكان يقول لهم إني أدعوكم إلى الدين وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق ومن قتل مشركًا فله الجنة، فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا القول مطمئنة، فكان محمد بن عبد الوهاب بينهم كالنبي في أمته لا يتركون شيئًا مما يقول ولا يفعلون شيئًا إلا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم، وإذا قتلوا إنسانًا أخذوا ماله وأعطوا الأمير محمد بن سعود منه الخمس واقتسموا الباقي، وكانوا يمشون حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء والأمير محمد بن سعود ينفذ كل ما يقول حتى اتسع له الملك.

وكانوا قبل اتساع ملكهم وتطاير شررهم أرادوا الحج في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد وكانت ولاية الشريف مسعود إمارة مكة سنة ست وأربعين ومائة وألف ووفاته سنة خمس وستين ومائة وألف فأرسلوا يستأذنونه في الحج وغاية مرادهم إظهار عقيدتهم وحمل أهل الحرمين عليها، فأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنًّا منهم أنهم يفسدون عقائد أهل الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الإذن في الحج ولو بشيء مقرر عليهم كل عام يدفعونه، وكان أهل الحرمين قد سمعوا بظهورهم في نجد وإفسادهم عقائد البوادي ولم يعرفوا حقيقة ذلك فلما وصل علماؤهم مكة أمر الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين بعثوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحُمُر مستنفرة فرَّت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات، فبعد أن أقاموا عليهم الحجة والبرهان أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الأول والآخر، وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال ووضعهم في

السلاسل والأغلال، فقبض منهم جماعة وسجنهم وفر الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أميرهم واستكبر ونأى عن هذا المقصد وتأخر إلى أن مضت دولة الشريف مسعود وتوفي سنة خمس وستين ومائة وألف وولى إمارة مكة أخوه الشريف مساعد بن سعيد فأرسلوا أيضًا يستأذنونه في الحج فأبى وامتنع من الإذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم.

فلما مضت دولة الشريف مساعد وتوفي سنة أربع وثمانين ومائة وألف وولى إمارة مكة أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائهم فأمر العلماء أن يختبروهم فاختبروهم فوجدوهم لا يتدينون إلا بدين الزنادقة فأبى أن يأذن لهم في الحج، ثم انتزع إمارة مكة منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد سنة ست وثمانين ومائة وألف فأرسلوا في مدة الشريف سرور يستأذنون في الحج فأجابهم بأنكم إن أردتم الوصول ءاخذ منكم في كل سنة مثل ما ءاخذ من الرافضة والأعجام وزيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد، فعظم عليهم دفع ذلك وأن يكونوا مثل الرافضة، فلما توفي الشريف سرور سنة ألف ومائتين واثنتين وولى إمارة مكة أخوه الشريف غالب أرسلوا أيضًا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجهز عليهم جيشًا في سنة ألف ومائتين وخمسة وتتابع بينه وبينهم القتال والحرب من سنة ألف ومائتين وخمسة إلى سنة ألف ومائتين وعشرين حتى دخلوا مكة بعد أن عجز عن دفعهم ووقع بينه وبينهم وقعات كثيرة قبل دخولهم مكة يطول الكلام بذكرها.

وكانوا في هذه المدة اتسع ملكهم وتطاير شررهم فملكوا جزيرة العرب فملكوا أوَّلا المشرق ثم إقليم الأحساء والبحرين وعمان

ومسكت[1] وقرب ملكهم من بغداد والبصرة وملكوا الحرار بأسرها ثم الخيوف ذوات النخل ثم الحربية والفرع وجهينة، ثم ملكوا ما بين مدينة النبي ﷺ والشام حتى قرب ملكهم من الشام وحلب، وملكوا العرب الذين بين الشام وحلب وبغداد، وملكوا المدينة ومكة وقبل أن يملكوا مكة ملكوا القبائل التي حولها والطائف والقبائل التي حولها، ولما ملكوا الطائف في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبعة عشر قتلوا الكبير والصغير والمأمور والآمر ولم ينج إلا من طال عمره وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه ونهبوا الأموال وسبوا النساء وفعلوا أشياء يطول الكلام بذكرها.

ثم قصدوا مكة في المحرم من سنة ألف ومائتين وثمانية عشر ولم يكن للشريف طاقة لقتالهم فترك لهم مكة ونزل إلى جدة فخرج ناس من أهل مكة إليهم قبل دخولهم بمرحلتين وأخذوا منهم الأمان لأهل مكة فدخلوها بالأمان، ثم توجهوا إلى جدة لقتال الشريف غالب فقاتلهم وأطلق عليهم المدافع فلم يستطيعوا دخول جدة فارتحلوا إلى ديارهم في شهر صفر من سنة ألف ومائتين وثمانية عشر وأبقوا بمكة من يقوم بحفظها من جماعتهم.

وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رجع الشريف غالب من جدة ومعه الباشا صاحب جدة وكثير من العساكر وأخرج من كان بمكة من جماعتهم واستولى على مكة كما كان، ثم تتابع بينه وبينهم الحرب والغزوات إلى سنة عشرين ومائتين وألف فتغلبوا وملكوا جميع الأطراف وحاصروا مكة حتى اشتد البلاء وعم الغلاء

(١) هي التي تسمى اليوم مسقط.

وأكل الناس الكلاب والجيف، ثم عقد الشريف غالب معهم الصلح فدخلوا مكة بالصلح، واستمر ملكهم بها إلى سنة سبع وعشرين ومائتين وألف فأمر مولانا السلطان محمود الوزير المعظم والمشير المفخم بمصر محمد علي باشا فجهز عليهم الجيوش حتى أخرجهم من الحرمين، ثم بعث الجيوش إلى قتالهم في ديارهم وسار مع بعض الجيوش بنفسه حتى استأصلهم وقطع دابرهم. وأرخ بعض العلماء تاريخ خروجهم من مكة بقوله «قطع دابر الخوارج» سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين والكلام على وقائعهم وما فعلوه بالمسلمين يطول فلا حاجة لذكره.

وكان الأمير الأول محمد بن سعود فلما مات قام أولاده بعده بما قام به، ولما مات محمد بن عبد الوهاب قام أولاده أيضًا بما قام به، وكان الأمير محمد بن سعود وأولاده إذا ملكوا قبيلة سلطوها على من دنا واقترب منها ويسلط الأخرى على ما بعدها حتى ملك جميع القبائل، وإذا أراد أن يغزو بلدة من البلدان كتب لكل قبيلة يريد مسيرها معه كتابًا بقدر الخنصر يطلب منهم الحضور فيأتون إليه ومعهم جميع ما يحتاجون إليه من زاد وغيره ولا يكلفونه بشيء وليس له عسكر ولا جند ولا ديوان يحصيهم، وإذا انتهبوا شيئًا يأخذون الأربعة أخماس ويعطونه الخمس ويسيرون معه أينما يسير ألوفًا مؤلَّفة لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير وهذه بلية ابتلى الله بها عباده وهي فتنة من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب العقول، ولبَّسوا فيها على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهمهم أنهم قائمون بأمر الدين وذلك مثل أمرهم البوادي بإقامة

الصلاة والمحافظة على الجمعة والجماعات ومنعهم من الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وقطع الطريق فأمنوا الطرقات وصاروا يدعون الناس إلى التوحيد - على حسب زعمهم - فصار الأغبياء الجاهلون يستحسنون حالهم ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم المسلمين فإنهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر(١) منذ ستمائة

---

(١) أطلق محمد بن عبد الوهاب على مخالفيه أحكام التكفير وليس هدفنا هنا التعرض ومناقشة ماذا قال مخالفوه، فليتنبَّه.

أ - ففي «تاريخ نجد» للوهابي حسين بن غنام أن محمد بن عبد الوهاب ردّ على سليمان بن سحيم وكفّره فقال(أ): «وقبل الجواب نذكر لك أنك وأباك مصرّحون بالكفر والشرك والنفاق» اهـ، وقال فيه أيضًا(ب): «إنك رَجل معاند ضالٌ على علم مختار الكفر على الإسلام» اهـ، وقال محمد بن عبد الوهاب ما نصه(ت): «إن الذي راسلكم هو عدوُّ الله ابن سحيم» اهـ، وقال أيضًا(ث): «والله الذي لا إلـٰه إلا هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيتُ بحلّ دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم» اهـ.

ب - وقال محمد بن عبد الوهاب ما نصه(ج): «وأضيف إليها مسئلة سادسة وهي: إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسمَّيتهم طواغيت» اهـ.

جـ - وقال زعيم الوهابية محمد بن عبد الوهاب ما نصه(ح): «وإنَّا كفَّرنا هؤلاء الطواغيت أهل «الخَرْج» وغيرهم» اهـ.

وقال أيضًا(خ): «هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل «الخَرْج» وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له ويأمرون به الناس كلهم كفارٌ مرتدون عن الإسلام، ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفَّرهم أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً فلا يُخرِجهم إلى الكفر فأقل أحوال المجادل أنه فاسق لا يقبل خطّه ولا شهادته ولا يُصلى خلفه بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم» اهـ.

لم يكتف محمد بن عبد الوهاب بتكفير من خالفه بل كفر أيضًا من لم يكفّر مخالفيه!!. =

(أ) تاريخ نجد: الرسالة التاسعة (ص/ ٢٩٩).

(ب) تاريخ نجد (ص/ ٣٠١).

(ت) تاريخ نجد: الرسالة السابعة (ص/ ٢٧٤).

(ث) تاريخ نجد: الرسالة الخامسة عشرة (ص/ ٣٢٨).

(ج) تاريخ نجد: الرسالة السابعة (ص/ ٢٨٦).

(ح) تاريخ نجد: الرسالة التاسعة (ص/ ٣٠٤).

(خ) تاريخ نجد: الرسالة العاشرة (ص/ ٣١٠ - ٣١١).

= د - وقال أيضًا عن مشايخه ما نصه[أ]: «وأنا أخبركم عن نفسي: والله الذي لا إلٰه إلا هو لقد طلبت العلم، واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إلٰه إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منَّ الله به **وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك**، فمن زعم من علماء «العارض» أنه عرف معنى لا إلٰه إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت أو زعم عن مشايخه أن أحدًا عرف ذلك فقد كذب وافترى ولبَّس على الناس» اهـ.

٧ - نورد هنا تكفير حسين بن غنّام للمخالفين للدعوة الوهابية، وابن غنام هذا من تلاميذ محمد بن عبد الوهاب والمقربين إليه، وتكفيره لمخالفيه أخذه من شيخه محمد ابن عبد الوهاب.

وجاء في مجلة «المجلة»[ب] أن الباحث والمؤرخ السعودي راشد بن محمد بن عساكر قال: «تاريخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥هـ) الذي أقل ما يوصف عنه بأنه متعاطف مع هذه الدعوة - يقصد الدعوة الوهابية - مع ما حمله من فكر تكفيري على غيره» اهـ، وهذا ما يلاحظه كل منصف اطلع على تاريخه الذي ملأه وشحنه بتكفير غيره، فالوهابية هم أصحاب وجماعة التكفير الذين يرمون مخالفيهم بالكفر والخروج من الدين. والآن وقت الشروع بنقل بعض ما جاء في تاريخ ابن غنام من تكفيره لمخالفي الدعوة الوهابية:

أ - قال حسين بن غنّام في كتابه «تاريخ نجد» ما نصه[ت]: «فأرسل - يعني عثمان بن معمر - إلى ابن سويط **وإبراهيم بن سليمان رئيس ثرمدا المرتد**» اهـ.

ب - وقال أيضًا[ث]: «وفي شوال من هذه السنة ١١٦٥هـ **ارتد أهل حريملا** وكان قاضيها سليمان بن عبد الوهاب أخا الشيخ محمد بن عبد الوهاب» اهـ.

جـ - وقال أيضًا[ج]: «وفي أواخر هذه السنة ١١٦٦هـ **ارتد أهل منفوحة** ونبذوا عهد المسلمين» اهـ.

ومراده بالمسلمين الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب وهذه عادتهم يسمّون أنفسهم بالمسلمين ولا يصفون مخالفيهم بهذا الوصف وقال أيضًا في نفس الصحيفة ما نصه: «وحين رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب تظاهر بعض أهل البلاد **بالضلال وارتداد من ارتد منهم عن التوحيد**» اهـ.

د - وقال أيضًا[ح]: «وفي هذه السنة ١١٦٨هـ - **ارتد رجل اسمه الغفيلي في قصر من** قصور بلدة ضرمى» اهـ. =

(أ) تاريخ نجد: الرسالة العاشرة (ص/٣٠٩ - ٣١٠).
(ب) المجلة: العدد ١٣٣٧ - ١/١٠/٢٠٠٥ (ص/٥٥).
(ت) تاريخ نجد (ص/١٠٣).
(ث) تاريخ نجد (ص/١٠٦).
(ج) تاريخ نجد (ص/١٠٧).
(ح) تاريخ نجد (ص/١٠٨).

= هـ - وقال أيضًا[أ]: «وفي سنة ١١٦٩هـ **رفع الله عن أهل القويعية الشرك وهداهم إلى التوحيد**» اهـ.

و - وقال أيضًا[ب]: «**وارتدَّ جديع بن هذال** رئيس ءال حبلان من غزة **بعدما ادّعى الإسلام** وأعطى العهد» اهـ.

ز - وقال أيضًا[ت]: «وبقوا على ذلك ستة أشهر **ثم ارتدوا عن الدين** فلمَّا علم بذلك عبد العزيز جهَّز سليمان بن عفيصان مع جيش من المسلمين وأرسله لقتال الرجبان والوداعين فقدم عليهم وصب عليهم العذاب وأكثر فيهم القتل حتى ذلُّوا وهانوا» اهـ.

حـ - وكفَّروا شريف مكة غالب بن مساعد فقال ابن غنام ما نصه[ث]: «ولكنه بعد زمن أبى **وكفَر** وتمسَّك بقديم سُنَّتِهِ اهـ.

ط - وقال أيضًا[ج]: «ثم عمدوا - يعني الوهابية - إلى الفُرْصة وحاصروها **ودعوا أهلها إلى الإسلام فأبوا إلا كفورًا** وأقاموا أيامًا يقاسون الذل والجهد والحصار حتى صالحهم المسلمون - يقصد الوهابية - على ثلاثة ءالاف زر[ح] وأزالوا ما فيها من الأوثان» اهـ.

ي - وقال أيضًا[خ]: «فأتته الأخبار أن أهل الأحساء نقضوا العهد **وارتدوا عن الدين**» اهـ.

وغيرها من المواضع التي يُكفِّر فيها المسلمين كثيرة جدًا، نكتفي بهذا القدر وهو كاف لمن أراد معرفة حقيقة الوهابية.

٨ - كفَّر الوهابي فَوْزان بن سابق النجدي (ت ١٣٧٣هـ) الشيخ الحاج مختار بن أحمد المؤَيَّد العظمي الدمشقي (ت ١٣٤٠هـ) ووصفه بالملحد كما في عنوان كتابه «البيان والإشهار لكشف **زيغ الملحد** الحاج مختار[د]» ردّ به على كتاب «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام» للشيخ مختار.

٩ - كفَّر زعيم الوهابية ابن باز الصحابي الجليل بلال بن الحارث المزني لأنه جاء إلى قبر الرسول ﷺ وتوسَّل به فقال ابن باز ما نصه[ذ]: «إن ما فعله هذا الرجل منكر **ووسيلة إلى الشرك بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك**» اهـ، ومراده بأهل العلم قدوتهم في التشبيه والتجسيم ابن تيمية، ولكن الوهابية ينسبون ضلالهم إلى أهل العلم تسترًا بهم. =

(أ) تاريخ نجد (ص/ ١١١).
(ب) تاريخ نجد (ص/ ١٥٢).
(ت) تاريخ نجد (ص/ ١٦٩).
(ث) تاريخ نجد (ص/ ١٧٥).
(ج) تاريخ نجد (ص/ ١٧٩).
(ح) اسم نقد كان يتعامل به في الجزية العربية.
(خ) تاريخ نجد (ص/ ١٨٣).
(د) انظر «الأعلام» (٥/ ١٦٢ و٧/ ١٩١) للزِّركلي.
(ذ) انظر تعليقه على «فتح الباري»: كتاب الاستسقاء: باب ٣، (٢/ ٤٩٥).

من مقابحهم التي ابتدعوها وكفروا الأمة بها.

وكانوا إذا أراد أحد أن يتبعهم على دينهم طوعًا أو كرهًا يأمرونه بالإتيان بالشهادتين أوَّلا ثم يقولون له اشهد على نفسك أنك كنت كافرًا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان أنه كان كافرًا ويسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين فإن شهدوا بذلك قبلوهم وإلا أمروا بقتلهم، وكانوا يصرحون بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة وأول من صرَّح بذلك محمد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك، وإذا دخل إنسان في دينهم وكان قد حج حجة الإسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانيًا فإن حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تسقط عنك الحج، ويسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين ومن كان من أهل بلدتهم يسمونهم الأنصار.

والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك وكان في أول أمره مولعًا بمطالعة أخبار من ادعى النبوَّة كاذبًا كمسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم فكأنه يضمر في نفسه دعوى النبوَّة ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لأظهرها، وكان يقول لأتباعه إني أتيتكم بدين جديد ويظهر ذلك من أقواله وأفعاله ولهذا كان

= ١٠ - وقال الوهابي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ما نصه(ر): «**ولا نكفِّر إلا من بلغته دعوتنا للحق فوضحت له المحجة وقامت عليه الحجة وأصرّ مستكبرًا معاندًا كغالب من نقاتلهم يصرون على ذلك الإشراك**» انتهى بحروفه.

فهذا دليل صريح على أن دعوتهم مبنية على تكفير كل من يخالفهم وتكفير كل من لم يتابعهم وتكفير كل من قاتلوه من المسلمين، فكل هؤلاء الآلاف المؤلفة من العلماء والمسلمين كفار عندهم. فالوهابية هم جماعة التكفير.

(ر) الرسالة الثانية من كتابهم «الهدية السنية» (ص/ ٤٥).

يطعن في مذاهب الأئمة وأقوال العلماء ولم يقبل من دين نبينا ﷺ إلا القرءان ويؤوله على حسب مراده مع أنه إنما قَبِله ظاهرًا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عنه بدليل أنه هو وأتباعه إنما يؤولونه على حسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره به النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير، فإنه كان لا يقول بذلك ولا يقول بما عدا القرءان من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا بما استنبطه الأئمة من القرءان والحديث ولا يأخذ بالإجماع ولا بالقياس الصحيح، وكان يدَّعي الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه كذبًا وتسترًا وزورًا والإمام أحمد بريء منه، ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا في الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما تقدم.

وتمسك في تكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين. وقد روى البخاري[1] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج «إنهم انطلقوا إلى ءايات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»، وفي رواية أخرى عن عمر[2] عند غير البخاري أنه ﷺ قال «**أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأوّل للقرءان يضعه في غير موضعه**»[3] فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه.

---

(١) صحيح البخاري (معلقًا): كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم. باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

(٢) في المطبوع: «ابن عمر» والصواب ما أثبتناه كما في «المعجم الأوسط».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٨٥)، وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٧): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو متروك الحديث».

وأعجب من ذلك كله أنه كان يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم وانظروا واحكموا بما ترونه مناسبًا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فإن فيها الحق والباطل، وقتل كثيرًا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه، وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه، وكان أصحابه لا يتخذون مذهبًا من المذاهب بل يجتهدون كما أمرهم ويتسترون ظاهرًا بمذهب الإمام أحمد ويلبّسون بذلك على العامة، وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول إن ذلك بدعة وإنكم تطلبون بذلك أجرًا، وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة للرد عليه في كتب مبسوطة عملًا بقول النبيّ ﷺ[1] «إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، وبقوله ﷺ: **«ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه»**[2] فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من جميع المذاهب والتزم بعضهم في الرد عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبه وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها لأنه لم يكن له تمكن في العلوم وإنما عرف هذه النزعات التي زينها له الشيطان.

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ والذي وجدناه في مسند الفردوس (١/ ٣٢١) عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليُظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله»، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ٨٠) من حديث معاذ: «إذا ظهرت البدع ولعن ءاخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فلينشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد» ورمز السيوطي في الجامع الصغير (١/ ١١٥) له بالضعف.

(٢) عزاه السيوطي في الجامع الكبير (٥/ ٢٦٢) للحاكم في تاريخه عن ابن عباس ، وذكر الحافظ السيوطي في مقدمة كتابه «جمع الجوامع» (١/ ١٩) أن ما عزاه إلى تاريخ الحاكم فهو ضعيف.

فممن ألف في الرد عليه وسأله عن بعض المسائل فعجز العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن عفالق فإنه ألف كتابًا جليلًا سماه «تهكم المقلدين بمن ادّعى تجديد الدين» وردَّ عليه في كل مسئلة من المسائل التي ابتدعها بأبلغ الرد، ثم سأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والأدبية بسؤالات أجنبية عن الرسالة كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلًا عن أجلها، فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ①﴾ [سورة العاديات] إلى ءاخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية، وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة، وأين الوضع والترشيح والتجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية، وكم فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب، وما فيها من المجمل والمفصل، وما فيها من الإيجاز والإطناب والمساواة والإسناد الحقيقي والإسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي، وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس، وما موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع، والجامع بين كل جملتين متعاطفتين، ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من إيجاز قصر وإيجاز حذف، وما فيها من احتراس وتتميم، وبين لنا موضع كل ما ذكر فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الأحاديث من أعلام نبوة النبي ﷺ لأنها من الإخبار بالغيب

وتلك الأحاديث كلها صحيحة بعضها في صحيحي البخاري ومسلم وبعضها في غيرهما فمنها قوله ﷺ **«الفتنة من هٰهنا الفتنة من هٰهنا»**[(١)] وأشار إلى المشرق، وقوله ﷺ: **«يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرءان لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فُوقه سيماهم التحليق»**[(٢)] انتهى. والفوق بضم الفاء موضع الوتر، وقوله ﷺ **«سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرءون القرءان لا يجاوز إيمانهم تراقيهم سيمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم إلى فُوقه هم شرّ الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شىء من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق»**[(٣)]، وقوله ﷺ **«سيخرج في ءاخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون قول خير البرية يقرءون القرءان لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»**[(٤)]، وقوله ﷺ **«أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرءون**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب (٥) حديث (٣٥١١)، وكتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: **«الفتنة من قبل المشرق»** (٧٠٩٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (٢٩٠٥/٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم (٧٥٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في قتال الخوارج (٤٧٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم: باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٦٩٣٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة: باب التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦)، والنسائي في سننه: كتاب تحريم الدم: باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس (٤١١٣)، وابن ماجه في سننه:=

القرءان لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة»، وقوله ﷺ **«يخرج ناس من المشرق يقرءون القرءان لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فُوقه سيماهم التحليق»**(١)، وقوله ﷺ **«رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل»**(٢)، وقوله ﷺ **«من ها هنا جاءت الفتن»** وأشار نحو المشرق(٣)، وقوله ﷺ **«غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والإيمان في أهل الحجاز»**(٤)، وقوله ﷺ: **«اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا، قال «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا»** وقال في الثالثة **«هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»**(٥)، وقوله ﷺ: **«يخرج ناس من المشرق يقرءون القرءان لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون ءاخرهم مع المسيح الدجال»**(٦).

= المقدمة: باب في ذكر الخوارج (١٦٨)، وأبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في قتال الخوارج (٤٧٦٧).

(١) رواه البخاري، وتقدم تخريجه ءانفًا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٣٣٠١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه (٥٢/ ٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب قول الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات] حديث (٣٤٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه (٥٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: **«الفتنة من قبل المشرق»** (٧٠٩٤).

(٦) عزاه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٠) للطبراني فقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥١٠ - ٥١١) وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

وفي قوله ﷺ «**سيماهم التحليق**» تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لابن عبد الوهاب فيما ابتدعه لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ولا يتركونه يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم فالحديث صريح فيهم.

وكان السيد عبد الرحمٰن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا يحتاج أن يؤلف أحد تأليفًا للرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله ﷺ «**سيماهم التحليق**» فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم.

وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضًا بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه فأقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه كرهًا وجددت إسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له: أنت تأمر الرجال بحلق رءوسهم فلو أمرت بحلق لحاهم لساغ لك أن تأمر بحلق رءوس النساء لأن شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابًا لكنه إنما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من تبعه قوله ﷺ «**سيماهم التحليق**» فإن المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق ﷺ فيما قال.

وقوله ﷺ حين أشار إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية[1] «**قرنا الشيطان**» بصيغة التثنية قال بعض العلماء: المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب وابن عبد الوهاب، وجاء في بعض الروايات[2] «**وبها**» يعني نجدًا «**الداء العضال**»، قال بعض

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (٢٩٠٥/٤٩ و٥٠).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني (٢/ ٢٩٥) ولفظه: «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا فقال الرجل: وفي مشرقنا يا رسول الله... وبه الداء العضال».

الشراح: وهو الهلاك، وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال «ويخرج في ءاخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الإسلام»، وجاء في بعض الأحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله ﷺ: **«منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته تصل إلى جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها أشد من وقع السيف»**[١]، وفي رواية[٢] **«ستكون فتنة صماء بكماء عمياء»** يعني تعمى بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجًا ويصمون عن استماع الحق **«من استشرف[٣] لها استشرفت له»**، وفي رواية[٤] **«سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته»**.

وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب السيد عبد الله الحداد باعلوي في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى «جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام» وهو كتاب جليل ذكر فيه جملة من الأحاديث منها حديث مروي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ أسنده إلى النبيّ ﷺ قال فيه[٥]: **«سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر[٦] في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرًا**

---

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في سننه: كتاب الفتن والملاحم: باب في كف اللسان (٤٢٦٥)، والترمذي في سننه: كتاب الفتن: باب (١٦) حديث (٢١٧٨)، وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن: باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٦٧).

(٢) أخرجها أبو داود في سننه: كتاب الفتن والملاحم: باب في كف اللسان (٤٢٦٤).

(٣) في أبي داود: «أشرف».

(٤) لم نقف عليه في كتب السنة.

(٥) مصباح الأنام وجلاء الظلام (ص/٧).

(٦) في مصباح الأنام: «بلعق براطمه به قوباء».

ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرًا وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بينهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه» قال[(١)]: «ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وإن لم يعرف من خرجه»، ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره[(٢)]: «وأصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل أنه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري[(٣)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال **«إن من ضئضئ هذا** (أو في عقب هذا) **قومًا يقرؤون القرءان لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»** فكان هذا الخارجي يقتل أهل الإسلام ويدع أهل الأوثان، ولما قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال عليّ رضي الله عنه: كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن هو في أصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن ءاخرهم مع المسيح الدجال.

وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه[(٤)]: **«إن واديهم لا يزال وادي فتن إلى ءاخر الدهر ولا يزال في فتنة من كذابهم إلى يوم القيامة»**، وفي رواية[(٥)] «ويل لليمامة ويل لا فراق له»، وفي حديث ذكره في

---

(١) مصباح الأنام وجلاء الظلام (ص/٧).

(٢) مصباح الأنام وجلاء الظلام (ص/٧ - ٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ۝٤﴾ [سورة المعارج] حديث (٧٤٣٢).

(٤) لم نقف عليه في كتب السنة.

(٥) في مصباح الأنام أن هذا القول هو لبعض الصحابة.

«مشكاة المصابيح»[1] «**سيكون في ءاخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا ءاباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**» وأنزل الله في بني تميم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحجرات]، وأنزل الله فيهم أيضًا ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحجرات]»، قال السيد علوي الحداد المذكور ءانفًا[2]: «إن الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شىء كثير ويكفيك أن أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وأن الطاغية ابن عبد الوهاب منهم وأن رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز بن محمد بن سعود بن وائل منهم وجاء عنه ﷺ أنه قال: «كنت في مبدإ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابًا أقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة» اهـ، قال السيد علوي الحداد[3]: «لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فأخبرني أنه ألف كتابًا في الرد على هذه الطائفة سماه «الانتصار للأولياء الأبرار» وقال لي: لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يُرجى فلاحه لحديث البخاري «**يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه**»، وأما ما نقل عن بعض العلماء أنه استصوب من فعل النجدي جمع البدو على الصلاة وترك الفواحش الظاهرة وقطع الطريق والدعوة إلى التوحيد

---

(١) مشكاة المصابيح (بنحوه): (١/ ٥٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه (بنحوه): المقدمة: باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها (٧).

(٢) مصباح الأنام وجلاء الظلام (ص/ ١٠).

(٣) مصباح الأنام وجلاء الظلام (ص/ ٦٤ - ٦٥).

- أي بزعمهم - فهو غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفيره الأمة من ستمائة سنة وحرق الكتب الكثيرة وقتله كثيرًا من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحة دمائهم وأموالهم وإظهار التجسيم للبارئ تبارك وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه النبي ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم، وأمر في الأحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلًا لقضاء الحاجة، ومنع الناس من قراءة «دلائل الخيرات» ومن الرواتب والأذكار ومن قراءة مولد النبي ﷺ ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنائر بعد الأذان وقتل من فعل ذلك، وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام[1] بدعواه النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى كلامه، ومنع الدعاء بعد الصلاة، وكان يقسم الزكاة على هواه، وكان يعتقد أن الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وأن الخلق كلهم مشركون، وكان يصرح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء، ويزعم أن من قال لأحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يَلْتَفِت إلى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام ﴿وَسَيِّدًا ۝٣٩﴾ [سورة ءال عمران] ولا إلى قول النبي ﷺ للأنصار «**قوموا لسيدكم**»[2] يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه، ويمنع من زيارة النبي ﷺ ويجعله كغيره من الأموات، وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم ويقول إن ذلك بدعة».

(١) الطَّغام: أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء (انظر مختار الصحاح ص/ ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٤١٢١) بلفظ: «إلى سيدكم»، وكذا مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير: باب جواز قتال من نقض العهد (١٧٦٨) وأخرجه غيرهما.

ثم قال السيد علوي الحداد في كتابه المتقدم ذكره[(١)]: «والحاصل أن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لاستحلاله [أمرًا][(٢)] مجمعًا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وتنقيصهم تعمدًا - أي من غير سبق لسان - كفر[(٣)] بإجماع الأئمة الأربعة اهـ وتقدم أنه عاش من العمر ثنتين وتسعين سنة لأن ولادته كانت سنة [أحد][(٤)] عشر ومائة وألف وهلاكه سنة ألف ومائتين وستة وأرخ بعضهم وفاته بقوله بدا هلاك الخبيث ١٢٠٦، وخلف أولادًا قاموا بالدعوة بعده عبد الله وحسن وحسين وعلي وكانوا يقال لهم أولاد الشيخ وكان عبد الله أكبرهم فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمٰن وكان سليمان متعصبًا أكثر من أبيه فقتله إبراهيم باشا سنة ألف ومائتين وثلاثة وثلاثين وقبض على عبد الرحمٰن وبعثه إلى مصر فعاش مدة بمصر ثم مات بمصر، وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمٰن وَوَلِيَ قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمون فيها بمكة وعاش عبد الرحمٰن دهرًا طويلًا حتى قارب المائة ومات قريبًا فخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد بن عبد الوهاب

---

(١) مصباح الأنام وجلاء الظلام (ص/ ٦٥).

(٢) في النسخة المطبوعة من الدرر السنية (ص/ ٥٧) «أموالا»، والصواب ما أثبتناه من كتاب مصباح الأنام.

(٣) تنبيه: ليعلم أن تنقيص نبي من الأنبياء عليهم السلام كفر والعياذ بالله من ذلك وأما تنقيص الرجل الصالح من غير الأنبياء فحكمه ليس كحكم تنقيص النبي إذ سبه حرام وهذا لمن لم يَرِد النص بصلاحه أما من ورد النص بصلاحه كالسيدة مريم فنفي صلاحها ردٌّ للنص القرءاني وكذلك السيدة عائشة رضي الله عنها فآيات تبرئتها من قول أهل الإفك ظاهرة وهذا لمن بلغه النص أما من لم يبلغه فيفسق ولا يكفر.

(٤) والمشهور أنه ولد سنة ١١١٥هـ.

فخلف أولادًا كثيرين ولم يزل نسلهم باقيًا إلى الآن بالدرعية يعرفون بأولاد الشيخ ونسأل الله أن يهديهم للصواب».

(لطيفة) كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير اسمه الشيخ عبد الجبار يصلي إمامًا في مسجد تلك البلدة فاتفق أن اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد أن جاء إبراهيم باشا إلى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين المتجادلين: لا بد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان وترجع هذه الدولة كما كانت، وقال الآخر: لا يرجع أمرهم أبدًا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة، ثم اتفقا على أنهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى ويجعلان ذلك فألا يحكمان به فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الأنبياء] فتعجبا من ذلك ورضيا بذلك الفأل حكمًا.

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم.

فهرس للمصادر

- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، للبوصيري، دار الوطن - الرياض.
- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، للزبيدي، دار الفكر - بيروت.
- **أخبار مكة**، للأزرقي، دار الأندلس - بيروت.
- **الأذكار من كلام سيد الأبرار**، للنووي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، للقسطلاني، دار الفكر - بيروت.
- **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، لملا علي القاري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت.
- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، للمرداوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر - بيروت.
- **البداية والنهاية**، لابن كثير، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية - مصر.
- **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، لعبد الرحمٰن الجبرتي، دار الجيل - بيروت.
- **التاريخ الكبير**، للبخاري، دار الفكر - بيروت.
- **تاريخ مدينة دمشق**، لابن عساكر، دار الفكر - بيروت.

- **تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف**، للمزي، طبعة زهير الشاويش - بيروت.
- **تلبيس إبليس**، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **التلخيص الحبير**، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت.
- **تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية**، لمحمد علي بن حسين المكي المالكي، عالم الكتب - بيروت.
- **جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان**، لابن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت.
- **الجامع الصغير**، للسيوطي، دار الفكر - بيروت.
- **الجامع الكبير**، للسيوطي، دار الفكر - بيروت.
- **الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المعظم**، ابن حجر الهيتمي، دار جوامع الكلم - القاهرة.
- **حاشية ابن حجر على شرح الإيضاح في مناسك النووي**، لابن حجر الهيتمي، المكتبة السلفية - مكة المكرمة.
- **حاشية أسنى المطالب**، لشهاب الدين الرملي، مطبوعة بهامش أسنى المطالب.
- **حاشية الصاوي على الجلالين**، لأحمد الصاوي المالكي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، لعبد الرزاق البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربي بدمشق ١٩٨٣هـ.
- **حياة الأنبياء بعد وفاتها**، للبيهقي، مؤسسة نادر - بيروت.
- **الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان**، لابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الدر المنثور في التفسير المأثور**، للسيوطي، دار الفكر - بيروت.

- **الدعوات الكبير**، للبيهقي، منشورات مركز المخطوطات والوثائق - الكويت.
- **دلائل النبوة**، للبيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **رد المحتار على الدر المختار**، لابن عابدين، دار الفكر - بيروت.
- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني**، محمود الألوسي، دار الفكر - بيروت.
- **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، لمحمد بن عبد الله النجدي،
- **سنن ابن ماجه**، لابن ماجه القزويني، المكتبة العلمية - بيروت.
- **سنن أبي داود**، لأبي داود السجستاني، دار الجنان - بيروت.
- **سنن الترمذي**، للترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **سنن الدارقطني**، للدارقطني، عالم الكتب - بيروت.
- **سنن الدرامي**، للدارمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **سنن النسائي الصغرى**، للنسائي، دار المعرفة - بيروت.
- **السنن الكبرى**، للبيهقي، دار المعرفة - بيروت.
- **السنن الكبرى**، للنسائي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **السنة**، لابن أبي عاصم، طبعة زهير شاويش - بيروت.
- **شرح صحيح مسلم**، للنووي، دار الفكر - بيروت.
- **شرح المواهب اللدنية**، للزرقاني، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **شعب الإيمان**، للبيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**، تقي الدين السبكي، دار الآفاق

الجديدة - بيروت.
- **صحيح البخاري**، للبخاري، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج، دار الفكر - بيروت.
- **صفة الصفوة**، لابن الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**، لابن حجر الهيتمي، القاهرة.
- **الضعفاء والمجروحين والمتروكين**، لابن حبان، دار المعرفة - بيروت.
- **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **طرح التثريب في شرح القتريب**، ولي الدين العراقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **عمل اليوم والليلة**، لابن السني، مؤسسة علوم القرءان - بيروت.
- **غريب الحديث**، للحربي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت.
- **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، لابن علان، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، لعبد الحي الكتاني، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- **القاموس المحيط**، للفيروزابادي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **القول البديع**، للسخاوي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- **الكامل في الضعفاء**، ابن عدي، دار الفكر - بيروت.
- **كشاف القناع عن متن الإقناع**، لمنصور البهوتي، عالم الكتب - بيروت.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**، للهيثمي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **مختار الصحاح**، للرازي، مكتبة لبنان - بيروت.
- **المدخل**، لابن الحاج، دار الكتاب العربي - بيروت.
- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري، دار المعرفة - بيروت.
- مسند **أحمد**، للإمام أحمد بن حنبل، دار صادر - بيروت.
- مسند **الطيالسي**، لأبي داود الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.
- **مسند الفردوس بمأثور الأخبار**، للديلمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- مصباح **الأنام وجلاء الظلام**، لعلوي بن أحمد الحداد،
- **المصنف في الأحاديث والآثار**، لابن أبي شيبة، دار التاج - بيروت.
- **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، مصطفى الرحيباني، طبعة زهير الشاويش - دمشق.
- **المعجم الأوسط**، للطبراني، دار الحديث - القاهرة.
- **المعجم الصغير**، للطبراني، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **المعجم الكبير**، للطبراني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **المغني**، لابن قدامة، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**، عبد الرحيم العراقي، مكتبة دار طبرية - الرياض.
- **مناسك ابن جماعة على المذاهب الأربعة**، لعبد العزيز بن جماعة، الطبعة الأولى تونس ١٤٠٧هـ.
- **موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر**، لابن حجر العسقلاني، مكتبة الرشد - الرياض.

- **مواهب الجليل شرح مختصر خليل**، للحطاب، دار الفكر - بيروت.
- **الموضوعات**، لابن الجوزي، دار الفكر - بيروت.
- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، للقسطلاني، طبعة زهير الشاويش - بيروت.
- **النهاية في غريب الحديث**، لابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت.
- **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر - بيروت.
- **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، للسمهودي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

فهرس المواضيع